مذكرات السيد حافظ

الجزء السادس

تحقيق وتعليق ودراسة

د. ياسر جابر الجمَّال

أستاذ الأدب والنقد

2025م

الحلقة 251

كيف تكون كاتبًا كبيرًا وتحصل على جوائز؟

كيف تصبح كاتبًا كبيرًا في مصر وفي الوطن العربي؟ كيف تصبح كاتبًا كبيرًا؟

أول نصيحة: لا تنتمِ إلى أي حزب، وكن مع جميع الأحزاب. وإن كنت ترغب في الانضمام إلى حزب، فادخل إليه لفترة قصيرة فقط، كما فعل أستاذنا الكبير نجيب محفوظ.

إذًا، لا تنضم إلى أي حزب. ثانيًا، لا تتورط في أي حزب يتخذ موقفًا معارضًا للحكومة، إلا إذا كنت مضطرًا، أي عندما تجد الجميع يسير في هذا الاتجاه.

الكاتب يجب أن يكون كيانًا مستقلًا. ولكنني أتحدث هنا عن كيفية أن يجعلك المجتمع نجمًا وكاتبًا كبيرًا. ستجد أن اليمين واليسار والوسط جميعهم معك.

إذن، كما قلنا، لا تنتمي إلى أي حزب. وإذا اضطررت إلى الانتماء، فكن فيه لفترة قصيرة، ثم انسحب منه وقل: "لقد انسحبت لأنني اختلفت معهم"، بينما في الحقيقة لم تختلف معهم في شيء، ولكنك فقط لا تريد أن تُحسب عليهم، تمامًا كما فعل نجيب محفوظ. هذا ليس عيبًا، بل هو الواقع الذي نعيشه.

إذا أردت أن تصبح كاتبًا كبيرًا، فعليك أن تكون مهذبًا جدًا، وصوتك منخفض، أو أن تتظاهر بعدم السماع. قل: "لم أسمع"، "لم أنتبه". المجتمع، السلطة، الأحزاب، والقيادات يريدون شخصًا صوته منخفض، شخصًا مهذبًا.

انظر إلى نجيب محفوظ، إنه مثال مهم جدًا.

.لقد ذكرتُ من قبل كيف أن سعد زغلول كان يحمل الحقيبة لأحد الباشوات، ويذهب إلى بيت محمد فريد، الزعيم الوطني، ويجلس مع العاملين في المطبخ ليأكل ويتعشى، ويحمل الحقيبة، ويواصل طريقه حتى اشتغل في جريدة "الوقائع المصرية".

انتبه جيدًا! في مصر وفي العالم العربي، عليك أن تبدأ كخادم لشخصية كبيرة حتى ترضى عنك.

ابحث بنفسك. نجيب محفوظ قبل أن يتولى رئاسة هيئة السينما كان يعمل بطريقة مشابهة. هذا لا يعني أنك خالٍ من الموهبة، ولكن يجب أن تتبع هذا النهج حتى لا تثير التوتر في الوسط الأدبي والمجتمع.

الخلاصة: لتصبح كاتبًا كبيرًا، يجب أن تبدأ كخادم أو سكرتير لشخصية بارزة في أي وزارة. الأهم هو أن تكون مطيعًا وتحمل الحقيبة وتسمع الكلام.

إذن، لنلخص الموضوع بسرعة: لتصبح كاتبًا كبيرًا ومتميزًا، ويرضى عنك المجتمع، عليك أولًا ألا تنتمي إلى أي حزب.

لقد تلقيت اتصالًا من أحد الأصدقاء منذ قليل، وسألني: كيف يصبح الكاتب كبيرًا بالفعل؟

الكاتب الحقيقي هو ذلك المفكر الذي يمكنه انتقاد النظام علنًا، مثل "برنارد شو" الذي هاجم حكومة لندن وإنجلترا وتشرشل بشدة، دون أن يُقبض عليه أو يُتهم بتشويه صورة الحكومة. بل أدت كتاباته إلى تغيير النظام الصحي في بلاده.

كذلك، العقاد كان مستقلاً، رغم وقوعه في خطأين. الأول، عندما عرضت عليه "أخبار اليوم" في عهد جمال عبد الناصر راتبًا قدره 5000 جنيه شهريًا عام 1952، وهو مبلغ ضخم جدًا. والثاني، عندما كان يكتب مقالات في مدح الملك. لكنه كان مفكرًا حقيقيًا، ورفض الرضوخ للضغوط.

أما الجزء الثاني الذي أود الحديث عنه فهو: كيف تحصل على الجوائز العالمية؟

هناك ثلاث أو أربع نصائح رئيسية:

أن تتضمن روايتك إساءة إلى الذات الإلهية والأديان. هناك أشخاص حصلوا على الجوائز بسبب ذلك. أنا شخصيًا لا أؤمن بهذه الطريقة، ولكن هذا هو الواقع.

الترويج للشذوذ الجنسي. أي أن تتحدث عن شخصية شاذة جنسيًا، أو تطرح قضية الشذوذ بطريقة تدافع عنها.

الهجوم على الرموز الدينية، سواء كان ذلك النبي محمد ﷺ، أو النبي عيسى (عليه السلام)، أو النبي موسى (عليه السلام).

دعم التحول الجنسي، أي أن يكون هناك شخصية في روايتك تتحول من ذكر إلى أنثى أو العكس.

إذا أردت الحصول على جائزة عالمية، فعليك باتباع هذه الوصفة.

اللهم إني قد بلغت، اللهم فاشهد.

إذا لم تحصل على جائزة بعد كل هذا، فأنا لست مسؤولًا.

الحلقة 252

كيف تنـهار الثقافة في مصر والوطن العربي ؟

. كنت في المسرح، أشاهد مسرحية بعنوان الحب في زمن الكورونا، إلا أنني لم أستطع إكمالها، ليس لأن المسرحية سيئة، ولكن لأنني كنت شديد العطش. طلبت من أحد العمال أو من موظفي المسرح إحضار كوب من الماء أو توجيهي إلى البوفيه، لكن لم يستجب لي أحد، فاضطررت إلى مغادرة المكان.

عنوان حلقة اليوم: "ما الذي جرى؟

لقد شهدنا أحداثًا ساخنة في الأيام الأخيرة، من بينها قرار إلغاء مجلة الكواكب ودمجها مع مجلة حواء. أشعر بالحزن الشديد عند إغلاق أي مجلة؛ لأنني أؤمن بأن توقف أي وسيلة إعلامية هو خسارة للثقافة. صحيح أن العالم يتجه نحو الإنترنت، لكن هذا التحول له سلبيات أكثر من إيجابياته.

ماذا يحدث في الواقع؟

ما الذي جرى في الكويت؟ وما الذي يحدث في مصر؟

في الماضي، كان لدينا في مصر أكثر من 200 فرقة مسرحية تابعة لهيئة الثقافة الجماهيرية. كانت مصر خط الدفاع الأول عن المسرح العربي، حيث كان لكل إقليم فرقة مسرحية إقليمية ونادٍ للمسرح، بالإضافة إلى فرق تابعة لقصور الثقافة. في يوم واحد،

كان يُعرض في مصر عدد من العروض المسرحية يعادل ما يتم تقديمه في الوطن العربي كله على مدار عام كامل، وفقًا لإحصائيات مذهلة أجراها بعض الباحثين.

لكن، ماذا حدث بعد ذلك؟ كان المسرح المصري يحظى بمكانة مرموقة حتى أصبح هدفًا للحسد. اليوم، عندما تتجول في وسط البلد، لن تجد هذا الزخم المسرحي كما كان من قبل.

أما عن الكويت، ففي الثمانينات، كان هناك رجل عظيم يُدعى عبد العزيز حسين، وكان معه الأستاذ أحمد العدواني، وهو صديق وأمين عام المجلس الوطني، بالإضافة إلى الدكتور خليفة الوقيان. هؤلاء الثلاثة كانت لهم أدوار بارزة في تأسيس بنية ثقافية قوية للكويت. كانوا يختارون الموظفين الثقافيين بدقة شديدة، بحيث يكون كل فرد في موقعه المناسب، مما جعل الكويت في ذلك الوقت منارة ثقافية متميزة.

عندما تولى سليمان العسكري مسؤولية مجلة العربي، لم يعتمد على صحفيين مبدعين، بل لجأ إلى موظفين يجيدون الكتابة دون أخطاء نحوية أو إملائية، لكنهم لم يكونوا أصحاب فكر أو إبداع حقيقي. الفرق بين من يبني ثقافة حقيقية وبين من يختار كوادر تؤدي مهامها بلا روح هو ما صنع الفارق بين الماضي والحاضر.

في الكويت، كان هناك نظام ثقافي متكامل لمسرح الطفل، يتضمن خمسة مواسم مسرحية، تغطي بداية العام الدراسي ونهايته، بالإضافة إلى الاحتفالات الوطنية. أما الآن، فقد تلاشت هذه الأنشطة تمامًا بسبب القيود المفروضة.

ماذا عن لجان التحكيم الأدبية في الوطن العربي؟

نجد اليوم أن العديد من الجوائز تُمنح لأشخاص لا يستحقونها. بعض الأسماء التي تتصدر المشهد الأدبي لا تمتلك أي قيمة حقيقية، وكأن الجوائز تُوزع عشوائيًا. لا أحد يعلم من هم أعضاء لجان التحكيم، ولا كيف يتم اختيار الفائزين.

النكسة الثقافية في العالم العربي.

نحن أنفسنا سبب هذه الانتكاسة الثقافية. نحن من نختار قيادات ضعيفة، لا تمتلك رؤية حقيقية للنهوض بالثقافة. في الماضي، عندما أراد جمال عبد الناصر تطوير المشهد الثقافي، لجأ إلى أشخاص لديهم رؤية، مثل عبد القادر حاتم، الذي كان حريصًا على دعم الفرق المسرحية والتلفزيونية، فشهدت مصر حينها نهضة مسرحية غير مسبوقة.

أما اليوم، فلدينا عشرات القيادات الثقافية، لكن دون أي تأثير حقيقي. المسرح ينهار، والإنتاج الفني يضعف، والمجلات الثقافية تُغلق الواحدة تلو الأخرى. نحن بحاجة إلى استراتيجية واضحة

لمحو الأمية الثقافية، وليس فقط إلى إنتاج أعمال سطحية دون هدف.

الفرق بيننا وبين الآخرين.

في إحدى المرات، قرأت مقالًا عن مسرح الطفل في إسرائيل، وتبيّن أنهم يستخدمون المسرح كوسيلة لغرس عقيدتهم في أذهان الأطفال منذ الصغر. لديهم رؤية واضحة واستراتيجية لبناء أجيال تؤمن بأفكارهم، بينما نحن في العالم العربي لا نمتلك أي خطة واضحة لتطوير ثقافة الأطفال.

إغلاق المجلات الثقافية خطر كبير

عندما تُغلق مجلة مثل الكواكب أو أي مجلة ثقافية أخرى، فهذا ليس مجرد حدث عابر، بل هو مؤشر على انهيار منظومة الثقافة في المجتمع. عندما تنطفئ هذه المنابر الثقافية، يفتح الباب أمام التفاهة والسذاجة والجهل. لا يمكن أن نبني مجتمعات قوية بوجود شعب سطحي لا يفقه شيئًا عن تاريخه أو ثقافته.

هل أنا متفائل؟

نعم، ما زلت متفائلًا، لكن لا بد أن نقوم بتقييم الأوضاع بصدق. لا أريد الجوائز، ولا الأموال، لكنني أشعر بالألم عندما أرى المشهد

الثقافي في حالة يرثى لها. سيأتي جيل في المستقبل يلعننا على ما فعلناه بثقافتنا، وربما يحفر قبورنا ويبصق على أسماء من تسببوا في هذا الانحدار.

الحلقة 253

ذكرى المبدع الفيلسوف أسامة أنور عكاشة

تحل ذكرى صديقي العزيز والعظيم أسامة أنور عكاشة. سأتحدث اليوم عن علاقتي بأسامة أنور عكاشة، كيف تعرفت عليه، وما الذي كان يربطنا. لم نكن نلتقي يوميًا، بل كنا نلتقي في مراحل متفرقة، لكن كان الأمر وكأننا جلسنا معًا قبل ساعة فقط، نستكمل حديثنا السابق دون انقطاع، وكأن كل منا كان على دراية تامة بأخبار الآخر. كان هناك بيننا شيء إنساني راقٍ جدًا.

في عام 1980، تم تأسيس شركة في الكويت تحمل اسم "الشركة الكويتية للإنتاج الفني". كان مدير الإنتاج فيها شابًا مصريًا محترمًا للغاية، اسمه أسامة، لكني لم أكن أذكر اسمه بالكامل. هذا الشاب انتقل بعد ذلك ليصبح مدير إنتاج في استوديو الجيب في القاهرة، عندما تم إنشاء الشركة الكويتية هناك أيضًا. كما كان مدير إنتاج

لدى المنتج محمد القزاز، الذي تزوج الفنانة سعاد حسني، ثم لاحقًا الفنانة فيفي عبده. كان محمد القزاز شخصية مثيرة للاهتمام، مولعًا بالفنانات الجميلات.

حين طلبت مقابلة سعاد حسني أثناء وجودها في مهرجان الكويت مع محمد القزاز، وهو زوجها آنذاك، كان اللقاء عن طريق مدير الإنتاج الذي قام بإدخالي إلى جناحهم في الفندق. لم أكن أرغب في إثارة أي أزمة، لذا اكتفيت بالمغادرة بعد وقت قصير.

في عام 1980، كانت الشركة الكويتية قد أنشأت لجنة لمراجعة النصوص المقدمة للمسلسلات. كان هناك نص بعنوان "سلمى"، من تأليف الأستاذ أسامة أنور عكاشة. آنذاك، لم يكن أسامة أنور عكاشة معروفًا بالشكل الكافي، لكنه كان كاتبًا موهوبًا بحق. عندما قرأت النص، أدركت مدى جودة الكتابة، وكتبت في التقييم أن النص جيد جدًا وأنصح بالتعاقد مع الكاتب فورًا ولمشاريع مستقبلية.

عندما سلمت التقرير، سألت عن المبلغ الذي سيتقاضاه المؤلف، فأخبروني أنهم سيمنحونه 150 دينارًا كويتيًا، ما يعادل 4000 جنيه مصري في ذلك الوقت. لكنني اقترحت أن يتم التعاقد معه مقابل 250 دينارًا كويتيًا، حيث رأيت أن ذلك أكثر إنصافًا

لموهبته. لم أكن مسؤولًا عن الميزانية، لكنني شعرت بأن من واجبي دعم كاتب موهوب مثل أسامة أنور عكاشة.

كان لي موقف مشابه أثناء عملي في مجلة الشاشة، حيث كان الأستاذ سيف النبي يطلب مني تحديد المكافآت. كنت أكتب:

1000 دولار لنور الشريف

1000 دولار لأحمد فؤاد نجم

1000 دولار لعبد الرحمن الأبنودي

2000 دولار ليوسف شاهين

وكان الأستاذ سيف يوافق على هذه المبالغ دون تردد، لأنه كان رجلًا كريمًا يقدر الموهبة.

في عام 1983، تم عرض مسلسل "سلمى"، وكان من بطولة مجموعة من النجوم، من بينهم صلاح قابيل، صفاء أبو السعود، وفايزة كمال. كما كان هناك دور صغير للفنان فاروق الفيشاوي، الذي لم يكن معروفًا حينها بالشكل الكافي. كنت على معرفة قديمة بفاروق الفيشاوي منذ أيامنا في الإسكندرية، وكان صديقًا مقربًا للفنان التشكيلي مصطفى عبد الوهاب، زوج الفنانة أسمهان توفيق.

أتذكر عندما نزلت في فندق جرين فالي في القاهرة، في شارع عبد الخالق ثروت، وهو فندق متواضع من فئة الثلاث نجوم. في تلك الفترة، كنت أبحث عن بعض أصدقائي مثل سيد شحم ومحمد جبريل. عندما التقيت بمحمد جبريل، أخبرني أن أسامة أنور عكاشة قد قرأ ما كتبته عنه وأعجب به كثيرًا.

كنت أؤمن دائمًا بأنه يجب علينا دعم الموهوبين وتقديمهم للجمهور، وليس تهميشهم أو محاربتهم، كما كان يفعل بعض الأشخاص مثل سعيد الكفراوي، الذي كان يرفض المواهب الجديدة بدلًا من احتضانها.

ذات يوم، دعاني الدكتور سيد عبد الكريم إلى منزله لتناول الغداء، وكان بصحبتي زوجتي فتحية- رحمها الله-. استقبلنا سيد عبد الكريم بحفاوة شديدة، وكانت جلسة جميلة تحدثنا فيها عن أمور عديدة، من بينها الأعمال الدرامية الناجحة.

في تلك الفترة، كنت أعمل في جريدة السياسة الكويتية، وكنت مسؤولًا عن الصفحة الفنية. خلال شهر رمضان، كنت أتابع المسلسلات المعروضة وأكتب عنها. حينها، عرض مسلسل "الشهد والدموع"، الذي كان من تأليف أسامة أنور عكاشة. رأيت أن المسلسل قد اكتسح كل المسلسلات الأخرى، فكتبت تقريرًا في

الجريدة بعنوان: "مسلسل الشهد والدموع يكتسح جميع مسلسلات رمضان"

كان هذا التصريح قويًا، وأثار استغراب بعض زملائي في الجريدة. جاءني أحد الزملاء وقال لي: "هل يعقل أن تكتب ذلك؟"، فقلت له بكل ثقة: "نعم، إنه المسلسل الأفضل، متفوق على جميع المسلسلات الأخرى، سواء الأردنية، السورية، أو الكويتية".

لقد كنت أؤمن دائمًا بأن الإنصاف والعدالة في النقد الفني ضروريان. عندما يكون العمل جيدًا، علينا أن نقول ذلك بصراحة، وألا نخشى أي مجاملات أو حسابات شخصية. كان هذا هو منهجي في التعامل مع الفن والثقافة، وسأظل دائمًا مدافعًا عن المواهب الحقيقية وأصحاب الفكر والإبداع.

محفوظ عبد الرحمن، أشعر بالغيرة منك لأنك شخص مبدع وأتمنى أن أكون مثلك. ولكن دعنا من هذا الآن.

قدمت إلى القاهرة عام 1986 ثم استقررت بها عام 1990، وكان لي الشرف أن يتعاون معي المخرج الكبير عبد الرحمن الشافعي في مسرحية "حلاوة زمان" التي تناولت سيرة الحاكم بأمر الله العظيم. شارك في العمل الفنان محمد متولي، وجمال إسماعيل، وأميرة سالم المطربة.

أذكر أنني بعد عرض المسرحية كنت أغادر المسرح بصحبة والدتي – رحمها الله – وزوجتي وأولادي، وفوجئت بأحد أصدقائي يناديني قائلاً: "يا أستاذ، يا أستاذ!"، فالتفت لأجده الأستاذ أسامة أنور عكاشة، الكاتب الكبير، الذي كان من أبناء جيل السبعينات، وهو جيل تميز بالإبداع في مجال الدراما والمسرح.

لم أعتد أن أرى زملائي من كتاب الدراما في قاعات المسرح، فلم أجد مثلاً يوسف إدريس في عروض المسرح التجريبي، ولم أشاهد غيره من كبار الكتاب في قاعات العروض المسرحية. إلا أنني فوجئت يومها بوجود أسامة أنور عكاشة في القاعة، ولم يخبرني بذلك مسبقًا، بل جاء لمشاهدة المسرحية دون أن يلفت انتباهي.

كان هناك كاتب وناقد كبير هو الأستاذ عبد الغني داود، الذي تابع لي خمسة أو ستة عروض مسرحية، وهو الكاتب الوحيد الذي اهتم بتقديمي بطريقة منصفة. وأتذكر أنني في يوم من الأيام كنت ذاهبًا إلى المسرح القومي، وتحديدًا إلى مكتب الأستاذ جمال، مدير المسرح، حيث وجدت هناك الأستاذ فؤاد السيد والأستاذ أسامة أنور عكاشة.

دخلت المكتب وألقيت التحية على الجميع، ثم وجدت فنانًا يجلس هناك، فسلمت عليه بحرارة وسألته عن أحواله، ففوجئت به يقول للأستاذ أسامة: "يا أستاذ أسامة، أنا لو حصل لي الشرف أن أمثل

مشهدًا واحدًا معك، فهذا سيكون أفضل عندي من أن أمثل سبع حلقات أو حتى ثلاثين حلقة مع الأستاذ سيد حافظ".

هذا الموقف فاجأني، والممثل الذي قال ذلك هو الفنان الكبير مفيد عاشور، الذي كان نجمًا متميزًا، وقد شارك معي في مسلسل "حكايات مصرية". كان هشام سليم وصلاح السعدني من أبطال العمل، وحصل أسامة أنور عكاشة على مبلغ 600 ألف جنيه عن ثلاثين حلقة، أي ما يعادل 20 ألف جنيه عن كل حلقة.

في ذلك الوقت، كان الإنتاج السينمائي يحقق أرباحًا طائلة، حيث حصل فيلم من تأليف بلال فضل على ميزانية قدرها 2 مليون جنيه. أما بالنسبة لأسامة أنور عكاشة، فقد كان الكاتب الكبير محمود سعد يشعر بالحزن والأسى لما تعرض له في حياته المهنية. كان من المفترض أن يؤدي صلاح السعدني الدور الرئيسي في أحد الأعمال، ولكن الظروف لم تساعده، فكان الدور من نصيب هشام سليم، الذي قدم أداءً جيدًا، إلا أن العمل لو كان لصلاح السعدني، لحقق نجاحًا ساحقًا.

العديد من النجوم الذين عملوا مع أسامة أنور عكاشة حققوا شهرة واسعة، لكن بعضهم لم يستطع الحفاظ على مكانته الفنية. وكان هناك ندوة في نقابة الصحفيين لم يحضرها الكثيرون، ورأينا كيف

أن الدكتور أشرف زكي، نقيب الممثلين، كان دائمًا يساند الفنانين، ويقف بجانبهم، ويصلح الأخطاء التي يرتكبونها. إنه شخصية تستحق الاحترام والتقدير، ورجل نبيل بمعنى الكلمة، حتى لو اختلف معه البعض، فهو لا يزال يسهم في تصحيح مسار العديد من الفنانين، ويستر عليهم، ويدعمهم في مسيرتهم.

أتذكر أن بعض الفنانين كانوا يتصلون بالأستاذ أسامة أنور عكاشة، ويطلبون منه أن يمنحهم مشاهد تليق بهم، وكانوا يسعون للظهور في أعماله بأي شكل من الأشكال.

أما ابنه، المخرج هشام أسامة أنور عكاشة، فقد كان شابًا موهوبًا، وكان يأتي إلى منزلي كثيرًا. عندما قرر دخول مجال الإخراج، رشحنا له ثلاثة مخرجين ليختار من بينهم واحدًا للعمل معه، وكنت أتحدث مع المسؤولين في قطاع الإنتاج، مثل أمل مراد، وأحيانًا كنت أذهب إلى الأستاذ يحيى العلمي، وأطلب منهم إعطاء هشام فرصة؛ لأنه كان موهوبًا. لكن للأسف، توفي هشام بعد عام واحد فقط من وفاة والده،- رحمهما الله-.

لقد حصل أسامة أنور عكاشة على حقه من التقدير خلال حياته في مصر، ولكن بعد وفاته، بدأنا ندرك أكثر مدى عظمته وإبداعه. وبعد عام من رحيله، أقيمت ندوة في ذكراه. واليوم، أترحم عليه

وأقول: الفاتحة على روحك، يا أسامة، لقد كنت كاتبًا عظيمًا، شريفًا، وطنيًا، لم تكن تعلم أن الوطن قد يخون أبناءه.

النجاح الذي حققته لم يكن بفضل المجتمع، بل بفضل موهبتك وإصرارك، ولكن للأسف، لم يكن المجتمع الأدبي والنقدي منصفًا لك دائمًا. وربما لم تدرك أن الإنتاج التلفزيوني معرض للزوال، لكن الحقيقة تبقى دائمًا في الكتب، ومع ذلك، أهملت جانب التأليف الأدبي بعض الشيء.

سلامًا على روحك، يا أسامة أنور عكاشة، وسلامًا على كل الكتّاب والمبدعين الذين رحلوا، وسلامًا على الفنانين الطيبين في كل مكان.

الحلقة 254

السرقات الأدبية

حديث اليوم حديث شائك، يتعلق بالكاتب سعيد عثمان. سأناقش قضية لا بد لي من التحدث عنها أو التطرق إليها، لأن كبار الأدباء لدينا قد اختفوا. هذه القضية أُثيرت منذ شهر أو شهرين، وتتعلق بالكاتب والمترجم الناقد صبري ممدوح ، الذي وُجِّه إليه اتهام – أو لنقل إنه كتب عن ذلك – فيما يتعلق بإنتاج رواية الأستاذ طارق إمام، وهو نجل الناقد والمترجم الكبير سيد إمام. حيث قال إن رواية طارق إمام "ماكينة القاهرة" مسروقة من إحدى رواياته.

بعد ذلك، تطورت الأمور واتخذت منحى آخر. الأستاذ إبراهيم عبد المجيد، تحياتي لك وسلامتك، يا صاحبي. تطورت المسألة مع صبري ممدوح ، حيث كتب أن القضية لا تتعلق فقط بطارق إمام، بل زعم أن حتى الأديب الكبير نجيب محفوظ تأثر أو اقتبس بعض الأفكار، مستشهدًا بإحدى روايات نجيب محفوظ. عند ذكر اسم نجيب محفوظ، ثارت الدنيا ولم تهدأ.

للأسف، لا أعرف الكثير عن اللغات، لكنني أفهم أن المترجم هو من ينقل الكتب المترجمة. ما أريد قوله هو أن القضية تستحق التوقف عندها، لأنها تطرح نقطة مهمة جدًا. صبري ممدوح فجّر القضية، ودخل في السجال كاتب مبدع وجميل له اسم كبير بين

الشباب، وهو أشرف الخميسي، الذي أجرى حوارًا مع طارق إمام، خاصة مع الحديث عن جائزة البوكر.

أقسم بالله، الجنازة حارة والميت كلب، أقسم بالله! لجنة التحكيم في البوكر، التي تمنح الجوائز، لا تستحق ما يُقال عنها. التحكيم في جوائز البوكر لا يهمه سوى المال، أما الأدب فليس مهمًا. كلنا نعاني ونحتاج إلى المال، لكن الأمر ليس بهذه السطحية.

ما حدث هو أن الأستاذ طارق إمام، وهو كاتب مبدع له جوائز واسم مرموق بين شباب الساحة الأدبية، وجد نفسه وسط هذه الاتهامات. صبري ممدوح فجّر هذه القضايا دفعة واحدة. تحدثت قبل يومين مع ناقد كبير يدعى مصطفى، واليوم استمعت إلى جلسة طويلة للكاتب الكردي هوشنك أوسي، وهو أديب حاصل على جوائز وله مكانة أدبية مثل طارق إمام وأشرف الخميسي.

هوشنك أوسي تناول تفاصيل التشابه بين الأعمال الأدبية، مشيرًا إلى نقاط التأثير والتأثر بين النصوص.

رد فعل طارق إمام كان عنيفًا، حيث وصل الأمر إلى الشتائم. المشكلة الآن أن الحركة الأدبية في مصر تمر بمرحلة صعبة. ما فعله صبري ممدوح له ما له وعليه ما عليه؛ لأنه فجّر قضايا تتجاوز طارق إمام وحده.

تاريخ الأدب مليء بمثل هذه النقاشات. عندما كتب طه حسين، قيل إنه تأثر بأنيس منصور، وعندما كتب أنيس منصور، قيل إنه تأثر بتوفيق الحكيم. حتى جمال عبد الناصر ذُكر في هذا السياق خلال زيارته للمملكة العربية السعودية أثناء موسم الحج عام 2001 أو 2002، حيث قيل له إن الحكيم رمز لا يجب المساس به.

المشكلة ليست في طارق إمام، بل في مسألة الرموز الأدبية لدينا. لذا، أطالب بتشكيل لجنة من المجلس الأعلى للثقافة، تكون على مستوى مصر والوطن العربي، وتضم أسماء كبيرة مثل الأستاذ إبراهيم عبد المجيد، إضافة إلى شخصيات أكاديمية بارزة من جامعة الإسكندرية.

نحتاج إلى لجنة تتناول هذه القضايا بجدية. ما قاله هوشنك أوسي مهم، وهناك تفاصيل يجب دراستها بدقة. بالطبع، من حق طارق إمام الدفاع عن نفسه، لكنني ضد الشتائم. لا يصح أن يصل الأمر إلى هذا المستوى، لأن الأدب أرقى من ذلك.

أشرف الخميسي أيضًا تدخّل، وهو كاتب موهوب حقق نجاحًا عربيًا وعالميًا. لذلك، أرى أن هناك ضرورة لتشكيل لجنة لمراجعة هذه الادعاءات. إذا كان هناك تطابق بين النصوص، فهل هو سرقة أدبية أم مجرد توارد أفكار؟ الدكتور عبد الرحمن بن زيدان تحدث عن "التقنية الأدبية"، وأوضح أن الأسلوب يمكن أن يتكرر بين

الكتّاب، لكن الصياغة هي التي تحدد ما إذا كان هناك اقتباس أم سرقة أدبية. إذا كانت الصياغة متطابقة، فإن الأمر يصبح تجاوزًا وليس مجرد تأثر.

أطالب بتشكيل لجنة من المجلس الأعلى للثقافة، على أن تضم اثنين من مصر، واثنين من الجزائر، وأسماء بارزة مثل الدكتور علاء عبد الهادي، نظرًا لخبرته في اللغات. كذلك، يمكن لاتحاد كتّاب العرب أن يتدخل لحل هذه الأزمة، لأن الوضع الحالي في الساحة الأدبية ليس صحيًا.

ما يحدث من تبادل الشتائم لا يليق بكبار الأدباء. هوشنك أوسي كاتب كبير، وطارق إمام كاتب معروف، و صبري ممدوح أصبح ناقدًا شهيرًا بين ليلة وضحاها لأنه يقرأ كثيرًا. لكنه ليس خصمًا، ولا يشكل جبهة معادية. المشكلة أننا نتعامل مع بعض الرموز الأدبية وكأنها أصنام مقدسة لا يجوز المساس بها.

سبق أن قلت إننا هدمنا الأصنام حول الكعبة، لكن كل واحد منا احتفظ بتمثال داخله، في حين يدّعي أنه يدافع عن القيم النبيلة. نحن بحاجة إلى وقفة مع النفس.

لدي عدة اقتراحات:

أن يشكّل اتحاد كتّاب العرب لجنة لدراسة هذه القضية.

أن يشكّل المجلس الأعلى للثقافة في مصر لجنة متخصصة.

أن تتولى إحدى الجامعات، مثل الجامعة الأمريكية، تشكيل لجنة بحثية تضم نقادًا من مختلف الدول العربية، مثل عبد الرحمن بن زيدان من المغرب، ومحمد نوالي.

يجب أن نتحلى بسعة الصدر ونستمع إلى بعضنا البعض، لأن القضية تتجاوز الأشخاص إلى مبدأ أعمق في النقد الأدبي.

في كلية دار العلوم، كانت هناك مادة تُدعى "السوابق الأدبية"، لكنني لم أكمل دراستي بسبب الظروف المالية. كنت أتمنى أن يُمنح المصريون فرصًا أكبر في الجوائز الأدبية، لأنني أحب أن يكون لاسم مصر حضور قوي.

الحلقة 255

الشللية

إذا كانت لا تزال أنفاسها تنبض بالحياة.

لماذا عنوان حديثي اليوم هو "31 مايو 2022"؟ في الفترة الماضية، لاحظت أن الشباب الذي ظهر لم يتأمل عيوب الأجيال السابقة ويتجنبها. كان من المفترض أن ينظر هذا الجيل القادم، سواء كانوا فنانين، كتاب قصة، كتاب مسرح، أو حتى فناني الفنون التشكيلية، إلى أخطاء الجيل الذي سبقهم، ثم يسعون إلى تقديم شيء جديد وأفضل، سواء في الفن أو في الأخلاق. لكن للأسف الشديد، هذا الجيل لم يكتفِ فقط بعدم تصحيح الأخطاء، بل أخذ كل ما هو سيئ وأضاف إليه المزيد من الأخطاء والعيوب.

أعتذر لاستخدامي هذه الكلمة، لكن هذا كان تعبيرًا للكاتب سمير العصفور عندما كتب ذات يوم مقالًا في صحيفة "الأهرام المسائي" في صفحة المسرح، والتي كان يشرف عليها الأستاذ عرفه محمد -رحمه الله-. كنت حينها أدافع بقوة عن اثنين من المخرجين الشبان، كانا في ذلك الوقت شبابًا، والآن أصبحا من المخضرمين، أحدهما

توفي، والآخر لا يزال حيًا. كان أحدهما مخرجًا معروفًا، والآخر كان شابًا موهوبًا يستحق الفرصة. في ذلك الوقت، تلقيت اتصالًا من أحد المسؤولين في الصحيفة الساعة الرابعة فجرًا، وكان مما قاله: "إن الجيل الجديد لم يتخلص من أخطاء الجيل القديم، بل حمل وساخته وأضاف إليها وساخة جديدة."

هذا بالفعل ما نراه في هذه الأيام. بالطبع، هناك استثناءات في كل جيل، فقد نجد خمسة أو ستة أشخاص في كل مجال مختلفون عن القاعدة العامة، سواء في المسرح أو السينما أو التلفزيون. ولكن ما حدث الآن أمر مرعب للغاية، وهو تدني مستوى الإبداع واللجوء إلى الأساليب غير النزيهة، كالضرب تحت الحزام.

أتذكر عندما كنا صغارًا في عام 1964، كنا نشكل فرقًا تمثيلية في مراكز الشباب، مثل مركز شباب الشلالات، وساحة أمبروزو، وساحة الحرية. كنا نتابع أعمال بعضنا البعض ونتشارك الأفكار بحب، وكان الجميع سعيدًا بحضور الفرق الأخرى لمشاهدة العروض. لكنني لاحظت شيئًا مختلفًا في جيلنا الجديد، حيث اختفت الروح التعاونية، وظهرت الصراعات الشخصية والشلالية (المحسوبية).

أتذكر في عام 1968 عندما انتقلت إلى القاهرة، حيث كان هناك أدباء كبار مثل إبراهيم منصور، وإبراهيم أصلان، وغيرهم من

رموز اليسار، وكنت سعيدًا جدًا بالجلوس معهم. كان أخي محمد حافظ رجب جزءًا من هذه المجموعة، لكنني اكتشفت لاحقًا أنهم كانوا يهاجمونه في الخفاء عند الناقد الكبير رجاء النقاش، الذي كان يشرف على مجلة "دار الهلال" عندما كانت في أوج عظمتها.

للأسف، هذه المجلة الآن أصبحت تافهة وسخيفة، ولا يقرأها أحد. حتى لو أعدنا إليها أعلام الفكر مثل طه حسين والعقاد، فلن يستطيعوا إنقاذها. فالمجلات الأدبية عندما تموت، لا تعود إلى الحياة مجددًا، وكذلك الفرق المسرحية.

كانت الإسكندرية في الماضي تحتضن المبدعين، ولم تكن تسعى لإقصاء أحد، لكن اليوم الأمور تغيرت. أصبحت الجوائز تُمنح وفق معايير غير نزيهة، والشلالية تسيطر على المشهد الثقافي، حتى في المسرح. أتذكر كيف كانت هناك مجموعة محدودة فقط من الكتاب تسيطر على المشهد المسرحي في الستينات، مثل نعمان عاشور، ومحمود دياب، وصلاح عبد الصبور، وعبد الرحمن الشرقاوي. كانت أعمالهم تُعرض باستمرار، بينما يُقصى الآخرون.

ذات مرة، تحدثت مع الفنان الكبير محمد توفيق، وسألته عن سبب عدم انتشار أعمالي المسرحية، فقال لي: "يا بني، المسألة ليست موهبة فقط، هناك أسماء محددة فقط هي التي تُعرض أعمالها، والبقية لا فرصة لهم."

إن مشكلة المحسوبية ليست جديدة، ولكنها ازدادت سوءًا الآن، حيث أصبح الجيل الجديد أكثر تكتلًا، وأصبح الإقصاء أكثر وضوحًا، حتى في الجوائز الأدبية والمسرحية.

إننا بحاجة إلى إعادة صياغة الفكر العربي والمصري؛ لأن المحسوبية والشلالية أصبحت أمرًا مقلقًا في كل المجالات، ليس فقط في مصر، بل في جميع أنحاء الوطن العربي. عندما زرت الكويت، رأيت أن بعض الأسماء تُمنح فرصًا دون وجه حق، لمجرد انتمائها إلى دوائر معينة، بينما يتم تهميش آخرين أكثر موهبة.

في الحقيقة، لا يوجد إبداع جديد ينشأ من العدم، بل ينبع من تراكمات الماضي، فكل مبدع تأثر بشخص أو بمدرسة فكرية معينة. المسرحي العظيم صلاح عبد الصبور، على سبيل المثال، تأثر بمسرحية "حديقة الحيوان" للكاتب الأمريكي إدوارد ألبي، وقام بتقديم أعمال تستلهم بعض تقنياتها.

المشكلة اليوم ليست في التأثر بالأعمال السابقة، بل في أن بعض المبدعين الجدد لا يمتلكون أي أساس إبداعي، ورغم ذلك يظهرون فجأة ويطالبون بالاعتراف بهم دون أي مجهود أو تاريخ حقيقي.

لقد أصبحت المحسوبية تسيطر على المشهد الأدبي والفني في الوطن العربي، وليس فقط في مصر. حتى في مجال النقد الأدبي،

نجد أن مجموعة صغيرة من النقاد تتحكم في المشهد، ويقومون بإقصاء الآخرين بشكل ممنهج.

أذكر أن الناقد الكبير أحمد خميس اعترف في ندوة عامة خلال مهرجان المسرح التجريبي العام الماضي، بأن بعض أساتذة النقد في المعهد العالي للفنون المسرحية لا يعرفون حتى كيفية كتابة نقد تطبيقي.

إن الشلل الأدبية والفنية اليوم هي السبب الرئيسي في تدهور المشهد الثقافي في مصر والوطن العربي، لأنها تكرس الرداءة، وتمنع المواهب الحقيقية من الظهور.

في الختام، أؤكد أننا بحاجة إلى ثورة فكرية حقيقية، لإعادة بناء المشهد الثقافي والفني على أسس عادلة ونزيهة، بعيدًا عن الشلالية والمحسوبية، حتى لا نظل ندور في نفس الدائرة المغلقة التي تعيق أي تقدم حقيقي.

الحلقة 256

الثقافة ليست رخيصة يا سادة

. ما زالت الحرب الروسية الأوكرانية مستمرة، وما زال الاتحاد الأوروبي يفرض مجموعة جديدة من العقوبات على روسيا. في رأيي، يبدو أن الاتحاد الأوروبي يعاقب نفسه أكثر مما يعاقب روسيا، فهو يحاول قطع استيراد النفط منها وكأنه يعاقب زوجته بقطع عضو من جسده، متجاهلًا أن روسيا دولة كبرى وعظمى، حتى وإن أخطأت، ولا يمكن التعامل معها بهذه الطريقة. هذا

الأسلوب لا يؤدي إلا إلى الإضرار بالاتحاد الأوروبي نفسه وليس بروسيا.

ذكريات من مهرجان الكويت لمسرح الطفل

قبل خمس أو ست سنوات، كنت في مهرجان الكويت لمسرح الطفل، وأقمت في فندق "الميريديان". خلال إقامتي، رغبت في غسل بعض القمصان في الفندق، وعندما استفسرت عن التكلفة، أخبروني أن الحساب سيكون عليّ، وليس على المهرجان. فتعجبت من الأمر وسألت عن سعر غسل القميص الواحد، فأخبروني أنه بثلاثة دنانير ونصف. حينها قررت شراء قمصان جديدة بدلًا من غسل القديمة، فتوجهت إلى السوق برفقة الشاعر الكبير عبد المنعم سالم واشتريت قمصانًا جديدة، ووضعت القديمة في حقيبتي. استمررت على هذا الحال، وكلما اتسخ قميص، اشتريت غيره ووضعت القديم في الحقيبة. وها هو أحد تلك القمصان لا يزال معي بعد ست سنوات!

قصة الساعة

أما عن الساعة، فلها قصة طريفة. كنت قد اشتريت ساعة بسعر 80 جنيهًا من أحد الباعة الجائلين على أحد المقاهي. كان البائع شابًا أخبرني أنه أب لأربعة أطفال، وأنه لا يجيد بيع الساعات،

لكنه مضطر للعمل من أجل إطعام أطفاله. تحايل عليّ كثيرًا حتى اشتريتها منه، تعاطفًا معه أكثر من حاجتي لها.

دعوة لمحاضرة عبر الإنترنت

تلقيت اتصالًا من صديق عربي مقيم في إحدى الدول العربية، يدعوني لإلقاء محاضرة عبر الإنترنت. عندما سألته عن توقيت المحاضرة، أخبرني أنها ستستمر لمدة ساعة، وهو ما جعلني أتذكر مواقف مشابهة مررت بها مع كبار الأدباء والإعلاميين.

طه حسين وطلبه للمال مقابل اللقاءات الإعلامية

أتذكر أن أحد المذيعين المصريين ذهب لمقابلة عميد الأدب العربي، طه حسين، وطلب منه تسجيل مقدمة قصيرة لبرنامج إذاعي بعنوان "لغتنا العربية". فطلب طه حسين خمسة جنيهات مقابل ذلك، وهو ما أثار دهشة المذيعين آنذاك. وفي واقعة أخرى، كان هناك صحفي من مجلة "أسرتي" في السبعينيات، أراد إجراء مقابلة مع الأديب الكبير نجيب محفوظ، فطلب محفوظ مائة دينار كويتي مقابل المقابلة.

أما فتحي غانم، فقد حصل على 200 دينار عندما أجرى مقابلة إذاعية مع شخصية مصرية مرموقة. حتى في مصر، كان الأدباء والصحفيون يطلبون المال مقابل اللقاءات الصحفية، ولم يكن ذلك مستغربًا. أتذكر أيضًا أنه عندما أردت إجراء مقابلة مع الأستاذ

صلاح جاهين عام 1983، سألني فورًا: "كم ستدفع المجلة؟"، وعندما أخبرته أن السياسة التحريرية للجريدة لا تتضمن دفع مقابل مادي، احترمت موقفه ولم أجرِ المقابلة.

هل الثقافة مجانية؟

هذا يطرح تساؤلًا مهمًا: هل يجب أن تكون الثقافة مجانية؟ في إحدى المرات، تلقيت دعوة لحضور مهرجان ثقافي في الأردن، وهو بلد أحبه كثيرًا، خاصة منطقة جبل اللويبدة وجبل عمان. كنت أذهب هناك وأقيم في فندق متوسط المستوى، وأكتب بعيدًا عن صخب العلاقات العامة. كنت ألتقي هناك بالكثير من الشخصيات الثقافية، مثل محمود الزيودي، وجميل عواد، وزوجته جولييت، وغيرهم.

في إحدى المشاركات، طُلب مني أن أكون عضوًا في لجنة تحكيم بالمهرجان، فوافقت. وعندما استفسرت عن مستحقاتي المالية، أخبروني أنني سأحصل على أجر مقابل عملي، لكن في نهاية المهرجان، لم أجد شيئًا! عندما سألت عن مستحقاتي، قيل لي إن المشرفة على اللجنة غادرت ومعها الميزانية بأكملها!

قصة مهرجان العراق

في العراق، تمت دعوتي للمشاركة في مهرجان ثقافي، وكان صديقي مدير المهرجان، فأخبرته بأنني بحاجة إلى تذكرة سفر على الدرجة الأولى، فوافق على الفور وأرسلها لي. عندما وصلت إلى هناك، اكتشفت أن مدير المهرجان قد حصل على 50 ألف دولار كميزانية، لكنه لم يدفع المستحقات المالية للمشاركين.

قضية تأخر المستحقات في المهرجانات العربية

تكرر الأمر معي في مهرجان الكويت لمسرح الطفل، حيث كنت بصحبة مجموعة من الزملاء من لبنان والسودان. مع اقتراب نهاية المهرجان، لم نتسلم مستحقاتنا. وعندما استفسرت عن الأمر، أخبروني أن المبلغ لم يصل بعد، وأنه علينا الانتظار.

في النهاية، اضطررت للاتصال بنائب وزير الإعلام، وعرّفته بنفسي، لأطلب توضيحًا بشأن المستحقات المالية.

ختام الحديث

تبقى هذه المواقف جزءًا من تجربتي في الحياة الثقافية، حيث يتكرر السؤال دائمًا: هل يجب أن تكون الثقافة مجانية؟ أم أن لكل شيء ثمنه، حتى المعرفة والإبداع؟

الحلقة 257

المثقفون والتطبيع

. حديث اليوم حديث عن التطبيع والمثقفون. في الحقيقة، أنا لا أريد، يعني، الكل سينتظر الحكاية، والحكاية بدأت معي، بدأت معي أنا شخصيًا سنة 1966. بدأت كيف؟ كنت في منظمة الشباب الاشتراكي في حلوان، في الدورة الثانية. فكان الموجه الخاص بنا الأستاذ محمد الخواص، وكان يجلس أحد قيادات الاتحاد الاشتراكي الكبيرة وهم يلقون المحاضرة. فقالوا: "الأسئلة بعد المحاضرة"، وكان ذلك في تمام الساعة السادسة مساءً، وكنا نجلس من الرابعة حتى السابعة، ثم نتعشى، وبعد ذلك نقيم حفلة سمر.

فسألت سؤالاً للموجه، قلت له، وكان عمري حينها 18 سنة، أنا من مواليد 1948، وكان ذلك في سنة... فقلت للموجه السياسي الأستاذ محمد الخواص: "أفندم، نحن نحارب إسرائيل، وهذا أمر مكتوب، وإن شاء الله سنحرر فلسطين كما تقولون. نحن، طبعاً، كما نقول في الكتب، أعني في المحاضرات، لكنني أريد أن أسأل: من هم هؤلاء الذين احتلوا فلسطين؟ ماذا يتحدثون؟ كيف يفكرون؟ نحن بحاجة إلى معرفة ترجمات القصص والروايات."

نريد أن نفهم، أريد أن أفهم كيف يفكر الإسرائيليون. انتهت المحاضرة، ذهبت لتناول العشاء، وبينما كنت أتعشى، أقاموا لي محاكمة تنظيمية داخل المنظمة. جلسنا في خيمة، وكان هناك حوالي ستة أشخاص. سألوني: "ماذا تقرأ من كتب؟ ما آخر الكتب التي قرأتها؟" وكلها كانت كتب عن الاتجاهات الحديثة، الفلسفة العباسية، الفلسفة الوجودية، وغيرها. وكان كل الأصدقاء في الإسكندرية ووجه بحري، وسكرتير تحرير اتحاد الجمهورية، اتحاد طلاب الجمهورية.

بدأت الأسئلة تتوالى: "كيف جاءتك فكرة أن إسرائيل قوية أو غامضة علينا أو صعبة؟" تم تجميد عضويتي مؤقتاً في المنظمة، وشعرت أن الدنيا أصبحت مظلمة. استدعوني في الاتحاد الاشتراكي في الإسكندرية، ثم عدت إلى منظمة الشباب. الأستاذ بكاء قال لي: "ألم أخبرك؟"

محمود درويش في حياتي، أشعار محمود درويش، محمود درويش، أحمد درويش، الوعد. كيف يمكن أن يكون في المقاومة الفلسطينية، وفي نفس الوقت، في الحزب الشيوعي الإسرائيلي؟ الحزب الشيوعي الإسرائيلي كان له توجهات تدعو إلى إقامة دولة

واحدة بالانتخابات، أي أن المسألة لم تكن دينية، بل كانت اقتصادية، قائمة على نظام اشتراكي، بحيث يتم الحكم من خلال الانتخابات، فيكون الحاكم مرة عربي ومرة يهودي.

عندما اندلعت معركة 73، كانت ليلة سوداء في حياتي. كنت أقوم بعمل مسرح المقاومة في قصر ثقافة الحرية، أزرع فكرة المقاومة، وأردد أننا انتصرنا، وأن الجيش المصري رائع. كتبت عن "الكيلو 101"، لكنني بدأت أشعر بالانهيار: "ما الذي يحدث؟"

السادات سافر إلى القدس وأعلن التطبيع مع إسرائيل. أنا، باعتباري أكثر من كتب عن القضية الفلسطينية، سواء في المسرح للأطفال أو الكبار والمقاومة، كنت أشعر بالضياع. في جامعة كوبنهاغن، كانت هناك دعوة للتطبيع مع إسرائيل، وتفاوض المثقفون مع المثقفين.

في أثناء عملي بالكويت، وجدت مديري الفلسطيني الأستاذ حطاب صدقي حطاب، الذي كان قد زار الأراضي المحتلة، وعاد ليقول: "لقد رأيت شيئًا غريبًا. رأيت الجامعات في تل أبيب، ومستوى النظام هناك متقدم للغاية." جلست أمامه مصدوماً، فسألني:

"مالك؟" قلت له: "أنت ذهبت ورأيتهم؟" قال: "نعم، الجامعات في تل أبيب مذهلة، وينبغي أن تكون الجامعات العربية مثلها." فقلت له: "أنت فلسطيني، كيف تأخذني إلى هناك؟ كيف يمكن ذلك؟"

كيف يمكن لمحمود درويش أن يحب فتاة يهودية اسمها ريتا، وأن يكون في الحزب الشيوعي؟ وكيف يكون الفلسطينيون أنفسهم جزءاً من هذا اللغز الكبير؟

في الإسكندرية، ظهر أديب يدعى نعيم تأكله، وهو دكتور وأديب مسيحي. أهلاً أستاذة رضوى، كيف حالك؟ كتب قصة دُرست للطلاب، وأثارت ضجة في الإسكندرية، حيث كانت الناس في حالة هيجان. ثم ظهر عبد الله الوكيل، ومع جماعة محمد مكاوي، الزجالين، بدأ زكي في إرسال قصائد إلى إذاعة إسرائيل بعد التطبيع، مقابل 25 أو 30 جنيهًا.

25 دولارًا كم يساوي بالجنيه؟ هل يعادل دولارًا أمريكيًا؟ ماذا عن نجيب محفوظ؟ نعيم تاكله جلس مع نجيب محفوظ، فقال له محفوظ: "يا خائن، أيها الحقير!"

في النهاية، السفير الإسرائيلي بدأ يحضر جلسات نجيب محفوظ، وكان محفوظ يجلس مع نعيم تاكله، فصار الناس يقولون: "نجيب محفوظ في مأزق"، خاصةً وأن اليسار كان قد دعم نجيب محفوظ باعتباره تقدميًا وعالميًا. هكذا كان الوضع، والبلد كلها كانت في حالة صمت، لا أحد يجرؤ على الاقتراب من نجيب محفوظ، لأنه كان رمزًا أدبيًا كبيرًا.**

**الإسرائيلي ذهب إلى نجيب محفوظ... الخائن... المجرم... ما الذي حدث؟ ما الذي حدث؟ أنتم مع من؟ يعني، أنتم الآن تتمسكون بعلي سالم؟ وهنا وقعت مصيبة كبيرة مع علي سالم.

إسماعيل... نكمل في الجزء الثاني، لأن موضوع التطبيع مع إسرائيل عاد مرة أخرى. فهل التطبيع السياسي يختلف عن التطبيع الثقافي؟ وهل يختلف كلاهما عن التطبيع الشعبي؟

إنها مسائل تتعلق بالثقافة العربية، ومحاولة الناس الاندماج أو اليأس في الوسطى.

الحلقة 258

الجزء الثاني من "التطبيع والمثقفون".**

الحلقة الثانية بعنوان: "المثقفون والتطبيع".

تمهيد:

أنا أعلم أن هذا الموضوع قد يفتح عليَّ مشاكل مع كثير من المثقفين، ومن على رأسه بطحة فليتحسسها. والذين على رؤوسهم بطحات في مصر كثيرون، وفي الدول العربية أكثر. فنحن في حالة- ما شاء الله- من التدني الأخلاقي، كما يقول فيصل القناعي، الصحفي العظيم ونقيب الصحفيين في الكويت.

ما الذي حدث في الكويت؟ حدثت مواجهة بين يوسف المساعيد، رئيس تحرير جريدة "الرأي العام"، وموسى صبري.. موسى صبري افتعل معركة مع يوسف المساعيد بسبب حادثة اعتداء طلبة كويتيين على مدرس مصري.

ظاهرة ضرب المدرسين ليست جديدة، لكن في الكويت، تم نقل المدرس إلى العناية المركزة، واندلعت أزمة بين الصحافة الكويتية والصحافة المصرية.

كنت أقدم مقدمة لا بد منها، وهي أن فيصل القناعي، الصحفي في جريدة "السياسة"، أخبرني عن تعليق حول خلاف بين يوسف المساعيد وموسى صبري بسبب قضية المدرس المصري.
الصحافة الكويتية لن أنساها أبداً. هل لديكم في مصر صحفيون مثل هؤلاء؟ عندكم "كتائب" متخصصة في "الشرشحة"، و"كتائب" في الشتم، و"كتائب" في قلة الأدب. لم يكن هذا كلامي وحدي، بل كان أيضاً كلام الأستاذ محمد حسنين هيكل.

حسنين هيكل، لميس الحديدي، والبلطجة الصحفية:

محمد حسنين هيكل قال في لقاء مع لميس الحديدي: "أنا لست غاضبًا من مبارك، بل أنا غاضب من كتائب البلطجية الصحفيين." نحن لدينا كتائب بلطجية تخرج لتشتم وتشتم بلا توقف. لذا، أرجو ألا يسيء أحد فهمي. أنا أروي وجهة نظر كاتب يبحث عن الحقيقة، ويتحدث عن التطبيع والمثقفين.

نجيب محفوظ والتطبيع:

بالأمس، تحدثت عن نجيب محفوظ، وكيف كان يجلس مع السفير الإسرائيلي. لا تقتربوا من الرموز؟! لقد أبرم اتفاقية السلام، وذهب وحده، دون جيش ولا دعم سياسي.

حكاية أنيس منصور:

أنيس منصور حكى لي ونحن في الحج أنه عندما ذهب إلى الصعيد ضمن وفد كبير من الإعلاميين، كان برفقته الأستاذ محسن العزب، والأستاذ أشرف... أقسم لك بذمتك، إن كان لديك ذمة أو دين، هل ذكر أحد هؤلاء الصحفيين شيئاً عن علي سالم؟!

قضية علي سالم:

بصراحة، وزير الخارجية قال إن مسرحية "البترول طلع في بيتنا" التي كتبها علي سالم لم تعد تصلح. لجنة القراءة رفضتها بحجة أن "التيمة قديمة." فأرسلها إلى "مسرح الحديث"، لكنه قوبل بالرفض مرة أخرى.

نحن القتلة:

نحن من قتلنا علي سالم بأيدينا. جميعنا رفضناه، وقلنا له: "مسرحيتك مرفوضة، وأنت لا مكان لك بيننا، فاذهب بعيدًا."

أزمة النصوص المرفوضة:

أنا لا أتحدث عن الجيش أو عن الظروف. نجيب محفوظ، أيضاً، فقد الكثير. حاولت أن أستضيفه في كلية دار العلوم، لكنه رفض.

وقعت اتفاقًا بعقد بقيمة 300 جنيه، وكلمني أحمد هيكل، وكنت برفقة سامي عبد الحليم، ومحمد متولي المغربي. هل كل كاتب يُرفض له نص، يذهب للتطبيع؟!

اليأس والاختيارات الخاطئة:

محمد جمال، أين أنت من رجل يائس؟ ويلك من شعب يائس. الحياة ليست وصفة طبية، وكل شخص يختار طريق خلاصه بطريقته، لكنها غالباً تكون خاطئة، لأنها تأتي من حالة يأس.

خيانة الأفراد والوطن:

فوزي فهمي كتب تقريرًا لأمن الدولة عندما كان طالباً في الاتحاد السوفيتي، طلب فيه العمل مع الحكومة لحل أزمته المالية.

أما محمود أمين العالم، فقد كتب تقريرًا عن عبد الرحمن الشرقاوي كي يصبح مقربًا من عبد الناصر. تبدأ الخيانة من خيانة الأفراد، ثم خيانة الوطن، ثم خيانة الله- سبحانه وتعالى -. الرجل اليائس قد يفعل أي شيء.

قضية علي سالم مرة أخرى:

هذه هي المشكلة الكبرى لعلي سالم، والسبب في ذلك نحن.. لم نأتِ بأنيس منصور؟ السفير الإسرائيلي كتب في مذكراته أنه في العام الأول من التطبيع، 200 كاتب طلبوا التعاون معه!.

نجيب محفوظ:

نجيب محفوظ كان يجلس كل أسبوع... في النهاية، الكل خان، وكل من عليها خان.

الحلقة 259

المثقفون والتطبيع الجزء الثالث

الحوار الذي أصبح يستخدم الآن في وسائل الإعلام الرقمية بنسبة 99.9% هو مجرد هزل وسخرية، بلا معنى، بلا هدف، مجرد وسيلة للهروب من المشاكل الحياتية، والهروب من الفشل الاجتماعي والنفسي، والهروب من الإحباط والاكتئاب. أصبح مشروع الشباب الآن هو الضحك فقط، يضحكون جميعًا، ثم نبكي بعد ذلك على حالنا.

ما زلت أواصل حديثي في الحلقة الثالثة عن النهضة، وذلك يوم السبت، الرابع من يونيو 2022، متناولًا موضوع التطبيع

والمثقفين. التطبيع أصبح قضية حساسة وخطيرة، يخشى الجميع الحديث عنها، وإن تطرقوا إليها، فيكون ذلك بخجل واستحياء. نحن، كمثقفين، علينا أن نتحدث مع بعضنا البعض بصراحة، دون أن نترك المجال للسياسيين وحدهم لاتخاذ القرارات التي تتعلق بمصالح الدول والسياسات الكبرى، فهذه أمور قد لا تكون لنا علاقة مباشرة بها، لكن لا بد أن يكون لنا موقف فكري واضح.

الفنانون والتطبيع

هناك فنانون زاروا فلسطين عندما تأسست السلطة الفلسطينية، ذهبوا إلى رام الله، ولكنهم دخلوا عبر إسرائيل. حدثني الفنان يونس شلبي ذات مرة عن إحدى الحفلات التي نظمتها فرقته في فلسطين، وكيف تعرضوا للنصب من قبل المتعهد الفلسطيني، ولم يجدوا أي دعم، حتى تدخل الزعيم ياسر عرفات- رحمه الله -، واستضافهم على الغداء، وصرف لهم مستحقاتهم المالية بنفسه.

لكن السؤال هنا: ماذا عن الفنانين الذين ذهبوا إلى إسرائيل مباشرة؟ هل يعتبرون خونة؟ الصحف المصرية ذكرت أرقامًا تتعلق بالمصريين الذين سافروا إلى إسرائيل، مشيرة إلى أن هناك ما بين

12,000 إلى 15,000 مصري ذهبوا إلى الأراضي المحتلة، وتزوجوا من فلسطينيات يحملن الجنسية الإسرائيلية. هل هذا يُعتبر تطبيعًا؟

التطبيع الثقافي والفكري

لا بد لي أن أرتدي بذلة أنيقة وقميصًا جميلًا لأشعر بأن الحياة لا تزال جميلة. لدي صديق فنان يُدعى ممدوح حنفي، وفنان آخر هو ممدوح بدران، وأتساءل: ما الذي سيحدث بعد ذلك؟ هل نحن في أزمة حقيقية مع إسرائيل؟

سؤالي هنا: هل الحل الوحيد هو تصفية الطبيعة العنصرية للكيان الإسرائيلي وإقامة دولة ديمقراطية موحدة؟ هذا ما كان يؤمن به محمود درويش، وما كان يطرحه الحزب الشيوعي الإسرائيلي، وكذلك التقدميون في الوطن العربي. القضية لم تعد مجرد أزمة سياسية، بل أصبحت أزمة وجودية تحتاج إلى حل جذري.

أنا لا أطرح هذا الكلام لأن إسرائيل قد تترجمه لي، فإسرائيل تتابع كل شيء، والمخابرات العالمية تعمل على مراقبة كل التحركات، لكن الحقيقة تبقى حقيقة. الحكومات قد تتجه إلى التطبيع، ولكن ماذا عن المثقفين والمفكرين؟

مسرحيتي عن النضال الفلسطيني

أتذكر أنني في عام 1980 كتبت مسرحية، كنت قد بدأت العمل عليها عام 1968، تتناول فكرة الخلاص من الاحتلال الإسرائيلي على أيدي الفدائيين الفلسطينيين داخل الأراضي المحتلة. في المسرحية، كان البطل يستدعي النضال المسلح كوسيلة لتحقيق العدالة، لكن الواقع كان مختلفًا، حيث كانت الأرض العربية تُغلق في وجه الفدائيين، بدءًا من أحداث سبتمبر الأسود عام 1970 في الأردن، ثم سيناء، ثم جنوب لبنان، وأخيرًا معاهدة كامب ديفيد التي غيرت مسار الصراع من العسكري إلى الدبلوماسي.

على مدار العقود، أصبح التطبيع الثقافي والفكري منتشرًا بشكل كبير، ولم يعد مقتصرًا على الحكومات فقط، بل بات جزءًا من

الواقع عبر الإنترنت ووسائل الإعلام. الكاتب المبدع يواصل الكتابة، لكن هل يستطيع المثقف أن يواجه الحقيقة؟

التطبيع على عدة مستويات

التطبيع لا يقتصر على الجانب السياسي، فكل الأنظمة العربية تقريبًا تطبع بشكل أو بآخر. هناك تطبيع اجتماعي، حيث يسافر بعض الأفراد إلى إسرائيل ويتزوجون هناك، وهناك تطبيع اقتصادي، وتطبيع إعلامي عبر الإنترنت، حيث تُفتح قنوات الحوار مع الإسرائيليين.

قابلت ذات مرة شابًا فلسطينيًا يعيش في الإمارات، لكنه يعمل في إسرائيل، وكان يتقاضى 3,000 درهم شهريًا، يعمل دوامًا واحدًا ويعود إلى منزله، فأخبرني أن مستوى المعيشة في إسرائيل أفضل بالنسبة له. هذا الشاب يحمل هويتين، فلسطينية وإسرائيلية، ويعيش بين مجتمعين مختلفين.

الإشكالية الحقيقية

مشكلتنا ليست مع اليهود بشكل عام، بل مع الفكر الصهيوني العنصري. القرآن الكريم تحدث عن المصريين واليهود بشكل متوازٍ، وتاريخ العلاقة بين الشعبين طويل ومعقد. هناك دراسات تشير إلى أن الجينات بين المصريين والفلسطينيين واليهود الشرقيين متشابهة، مما يعني أن الأصول متقاربة.

ما نحتاج إليه الآن هو التفكير بعمق، والتوقف عن الاتهامات العشوائية. القضية ليست مجرد شعارات، بل تحتاج إلى رؤية واقعية وعملية لحلها. الحل يكمن في إقامة دولة ديمقراطية موحدة، كما قال صديقي سمير، بعيدًا عن العنصرية والتمييز.

علينا أن نواجه أنفسنا بالحقيقة، فالتطبيع أصبح واقعًا، سواء شئنا أم أبينا. يبقى السؤال: كيف يمكن التعامل مع هذا الواقع؟ وهل المثقفون قادرون على إيجاد حلول حقيقية بعيدًا عن الشعارات؟

محمود درويش كان يرى أن الحل يكمن في إقامة دولة ديمقراطية موحدة، وهو ما كان يطرحه الحزب الشيوعي الإسرائيلي في وقته. لكن في الحقيقة، نحن هنا لا نناقش سوى لعبة ألفاظ، مجرد كلمات تتكرر دون تنفيذ فعلي. الحل الحقيقي يفرض على إسرائيل أن

تراجع نفسها بالكامل، لأن الشعوب تعبت، والمواطن البسيط الذي يعيش في ظل هذه الأزمات هو الذي يدفع الثمن.

الحكام العرب يسيرون في اتجاه الاتفاقيات السياسية، وهم أحرار في قراراتهم، لأنهم يرون الأمور من منظور مختلف عن الشعوب. لكن الشعوب، وخصوصًا الفقراء الذين يمثلون "ملح الأرض"، يحتاجون إلى الأمان، ويحتاجون إلى مستقبل واضح. الشعب الفلسطيني الذي يُقتل يوميًا من أجل حلمه بحاجة إلى تحقيق هذا الحلم، وليس إلى مزيد من الشعارات.

لكن هذا الحلم لن يتحقق عبر إنهاء إسرائيل كدولة، فهذا غير ممكن في ظل الظروف الحالية والتوازنات الدولية. لقد مررنا بعهود من الخيانات، من كل الأطراف، من الأعلى إلى الأسفل ومن الأسفل إلى الأعلى، وبالتالي، فإن خيار استخدام العنف لن يؤدي إلى أي نتيجة، بل ما نحتاج إليه هو صيغة واضحة لحل القضية.

الموقف من المثقفين والتطبيع

يجب أن يكون لنا موقف واضح، لأننا نتعامل مع عدو، ولكن هذا العدو ليس كتلة واحدة. هناك مثقفون إسرائيليون أيضًا.. وهناك دراسات تُجرى حول اللغة العبرية داخل كليات مثل كلية دار العلوم، ولكن السؤال هنا: ما الذي يجبر المحتل على الرحيل؟ لا يوجد شيء يجبره، ولهذا فإن الحل الوحيد هو التفاوض من أجل إقامة دولة ديمقراطية موحدة.

الاستيطان هو أحد أكبر المشاكل، وهو في الواقع "غباء مستحكم". لا يمكن لأي دولة في العالم أن تستمر في بناء مستوطنات فوق أراضٍ مأهولة بالشعب الأصلي، وكأنها تستطيع محو التاريخ والجغرافيا بمجرد قرارات سياسية. العديد من الدول الاستعمارية قامت بنفس الفعل وانتهت في النهاية، لأن هذا النموذج لا يمكن أن يستمر.

التطبيع في المستويات المختلفة

التطبيع السياسي قائم بنسبة 100%، والتطبيع الأدبي كذلك، لكنه يحدث في الخفاء، عبر الإنترنت وعبر الترجمات الأدبية التي تُنشر في الخفاء. هناك كتّاب إسرائيليون يترجمون أعمالهم إلى العربية،

وهناك أدباء عرب تُترجم أعمالهم إلى العبرية، لكن دون أن يكون هناك وضوح تام في هذه العلاقات.

مثلاً، كان نجيب محفوظ يلتقي بالسفير الإسرائيلي كل أسبوعين، ليس في جلسة رسمية، بل في "ندوة الحرافيش" مع أصدقائه، حيث يتم النقاش حول مختلف القضايا، وهذا يعكس طبيعة التطبيع الثقافي الذي يحدث بشكل غير مباشر. هناك شخصيات من الإسكندرية والقاهرة كانت على علاقة بهذا المشهد الثقافي، لكن القضية أكبر من مجرد أفراد يجلسون مع بعضهم البعض.

الحل الوحيد: دولة ديمقراطية موحدة

كما قلت سابقًا، وكما ذكر الأستاذ سمير، الحل الوحيد هو إقامة دولة ديمقراطية موحدة، حيث يعيش الجميع بدون عنصرية أو استيطان أو اضطهاد. الاستيطان هو الكارثة الكبرى التي يجب أن تتوقف، لأنه يعمّق المشكلة بدلاً من حلها.

المثقفون والتطبيع

أنا لا ألوم الحكومات العربية، فهي على الأقل واضحة فيما تفعله، لكن المشكلة الحقيقية هي في الأدباء والمثقفين الذين يضعون أيديهم في أيدي إسرائيل، ليس بشكل معلن، بل عبر الإيميلات والمراسلات السرية. هناك مثقفون يرسلون أعمالهم إلى إسرائيل ويشاركون في مشاريع ثقافية معها، لكنهم في العلن يظهرون كوطنيين ومعادين للتطبيع. هذه الازدواجية هي المشكلة الأكبر.

التعصب هو الكارثة الحقيقية

في النهاية، لا بد أن ندرك أن التعصب هو السبب الرئيسي لكل هذه المشاكل، سواء كان التعصب الديني، أو التعصب القومي، أو التعصب السياسي. التعصب هو الذي يدمر العالم، سواء كان من قبل الجماعات الدينية المتطرفة، أو الحركات الأصولية، أو حتى بعض القوانين العنصرية التي تُسنّ دون التفكير في العواقب.

ما نحتاج إليه اليوم هو عقول حرة، تفكر في حلول عملية، بدلاً من تكرار نفس الشعارات القديمة. لسنا بحاجة إلى جوائز أدبية أو

شهادات عالمية، نحن بحاجة إلى كلمة حق تسجل في التاريخ، ليُعرف لاحقًا من باع، ومن خان، ومن كان صادقًا في موقفه.

.

الحلقة 260

هزيمة يونيو 67وعم فهمي الحلاق

الخامس من يونيو 2022، وهو يوم يذكرنا بالخامس من يونيو 1967. كنت في الثانوية العامة في ذلك الوقت، وفي الصباح سمعنا أصوات الضرب والنيران. كان أحمد سعيد في إذاعة صوت العرب يقول إننا انتصرنا، وأن جيشنا كسر العدو الإسرائيلي، وكنا نسمع أخبارًا متضاربة عن الأحداث.

في ذلك اليوم، قلت لوالدتي – رحمها الله – "يا أمي، سأذهب للنوم قليلًا، وأيقظيني عندما ندخل تل أبيب"، فقد كانوا يقولون إن المسافة بيننا وبين تل أبيب لا تتجاوز 20 أو 30 كيلومترًا. ذهبت للنوم، وعندما استيقظت وجدت أن الوضع قد تغيّر، وبدأ الحديث عن "التراجع إلى خط الدفاع الثاني". كان الناس حولي يرددون أن هذه "خطة"، وأن القوات تتراجع لتقوم بهجوم مضاد.

إذا كنت ترغب في معرفة حقيقة ما جرى في الخامس من يونيو 1967، فاقرأ مذكرات القادة العسكريين، أو حتى مذكرات العدو، لكي تدرك حقيقة ما حدث في ذلك اليوم.

أود الحديث عن بطل من أبطال تلك المرحلة، وهو "عم فهمي الحلاق"، الذي كان يعيش في الحي الشعبي حيث نشأت. عندما بدأت الحرب، كان الدفاع المدني يطلب من الجميع طلاء النوافذ باللون الأزرق، كيلا تُرى المنازل في حال تعرضنا للقصف. عم فهمي كان رجلاً متوسط الطول، نحيفًا كأغصان الصبار، ودائم الابتسام.

بعد الخامس من يونيو، عندما خرج الناس في مظاهرات بالمنشية، كنت ممن شاركوا فيها. في القطار المتجه إلى القاهرة للمطالبة بعدم تنحي عبد الناصر، كان الزحام لا يُطاق، وكان الناس يجلسون فوق بعضهم البعض. كنت جالسًا، وفجأة وجدت أحدهم يجلس على رأسي بسبب الازدحام الشديد. لقد كان موقفًا صعبًا.

عندما عدت إلى الحي، وجدت "عم فهمي" جالسًا أمام دكانه، فقال لي: "تعال، سأحلق لك"، فقلت له: "لا، لا أحتاج إلى حلاقة الآن". فأصرّ قائلًا: "لا، لا بد أن تحلق، أريد التحدث معك". شدد الفوطة حول رقبتي وبدأ يتحدث عن خطة عسكرية في ذهنه. قال لي: "عليك أن تُبلغ الرئيس عبد الناصر بأن الحل الوحيد هو أن تطير طائراتنا من القاهرة لتضرب أمريكا، لأن الإسرائيليين هناك. ثم نعود إلى فلسطين ونستعيدها، وحينها نقول للأمريكيين: معذرة، الصواريخ أخطأت طريقها!".

كان يتحدث بحماس شديد بينما كان يمسك بالمقص والموس، فسألني: "ما رأيك في الخطة؟"، فقلت له: "والله، الخطة ليست سيئة، عليك أن تخبر بها الرئيس عبد الناصر بنفسك!".

لم يكن "عم فهمي" وحده من كانت لديه خطة، بل كل المصريين كانوا يضعون خططًا في أذهانهم، وكل فرد كان لديه رأي في كيفية الرد على الهزيمة. الجميع كان غاضبًا، والجميع كان يشعر بالمرارة، والجميع كان يحاول تقديم حلول.

لقد بكيت مرتين خلال تلك الفترة، الأولى عندما قرأت رواية كتبها صلاح معاطي – شقيق يوسف معاطي – عن العساكر المصريين الذين كانوا ينسحبون من الجبهة مرتدين ملابسهم الداخلية فقط خوفًا من العدو، وهم في طريقهم إلى بورسعيد والسويس. كانت الرواية مؤلمة إلى حد البكاء.

أما المرة الثانية، فقد كانت بعد ثلاثين عامًا عندما شاهدت الفيلم الوثائقي الذي أظهرته إسرائيل، حيث كانت تعرض جثث الجنود المصريين الذين استشهدوا، وكيف كانت الدبابات تدهسهم. كان منظرًا قاسيًا لا يُحتمل. تمنيت وقتها أن ترفع الحكومة المصرية دعوى دولية للحصول على تعويض عن هؤلاء الشهداء، تمامًا كما حصلت إسرائيل على تعويضات عن الهولوكوست. كان يجب أن تقدم إسرائيل اعتذارًا رسميًا عن هذه الجرائم، وكان ينبغي أن يتم تعويض أسر الشهداء كما فعلت الدول الأخرى.

أتمنى أن يأتي اليوم الذي تقدم فيه إسرائيل اعتذارًا رسميًا عن ما اقترفته بحق الجنود المصريين، وأن يُعترف بهذه الجرائم كما تم الاعتراف بجرائم الهولوكوست.

الحلقة 261

الفن والأدب في ظل التطبيع

كيف سيكون شكل الفن والأدب في ظل التطبيع؟ إنها قضية في غاية الأهمية.

ما يحدث الآن هو أن الشباب أصبحوا أقل اهتمامًا بكتابة القصص، حتى الكبار أيضًا، وكأنهم فقدوا الشغف بالأدب والفن. قد يبدو الأمر مبالغًا فيه، لكن الواقع يؤكد ذلك، خاصة في ظل استمرار الوضع الراهن في الأراضي المحتلة. مساء الخير أستاذ محمد، مساء الخير أستاذ سعيد عثمان. لا تزال حركة حماس تحمل السلاح وتطالب بالحرية وتحرير الأرض، وهذا حق مشروع لها لا جدال فيه. ولكن المشكلة الحقيقية أصبحت فينا نحن. إسرائيل فرضت وجودها في المنطقة، وقضية "أرض الدولة اليهودية" و"الوعد المشؤوم" تظل مسألة معقدة لا يمكن أن تحل بمجرد الحوار مع الزمن.

لكن السؤال الأهم: كيف سيبدو الأدب في ظل هذه التحولات؟ هل سيصبح مجرد أدب مناسبات سطحية؟ أشعر أن هناك ظاهرة يمكن تسميتها "ظاهرة القطيع في الأدب"، حيث تسير الاتجاهات الأدبية

وفق ما تريده السلطة، دون تفكير أو استقلالية. على سبيل المثال، عندما كانت الدولة في خلاف مع ليبيا، كان الإعلام والأدباء جميعًا يهاجمونها، وعندما كان مبارك في خلاف معها، كان الجميع يسير في الاتجاه ذاته.

وهنا يأتي المشهد الذي أود الإشارة إليه، عندما زار الكاتب الكبير يوسف إدريس الزعيم الليبي معمر القذافي في إحدى المناسبات الثقافية، تحديدًا في معرض الكتاب، واتفق معه على نشر أعماله الكاملة مقابل 5000 دولار فقط. هذا المبلغ لم يكن كبيرًا أبدًا، ومع ذلك، لم يتردد الرئيس مبارك في التحدث عن الأمر وكأنه فضيحة، وكأن الحصول على مقابل مادي للكتابة أصبح جريمة. لم يخجل رئيس الدولة من الإشارة إلى هذا المبلغ الزهيد، وكأن المثقفين يجب أن يعيشوا في فقر ليحافظوا على نزاهتهم.

وهنا أعود بالذاكرة إلى ما قاله الشيخ أحمد القاسمي، حين كان مسؤولًا عن الدائرة الثقافية في الشارقة خلال الثمانينيات، عن معاوية بن أبي سفيان. فمعاوية، رغم كل الحروب والصراعات التي خاضها، كان يعرف كيف يكرّم الأدباء والمفكرين، فقد كان يصرف لهم رواتب من بيت المال، ويمنحهم وسائل النقل اللازمة

من خيل وجِمال، بل وحتى خدمًا يساعدونهم. أما نحن، فقد فضحنا يوسف إدريس، وأصبحنا نحارب المثقفين بدلًا من دعمهم.

إن غياب الدعم الحقيقي للأدب والفكر سيؤدي إلى غياب الكتابات الصادقة والمؤثرة، وحينها لن يكون هناك أدب حقيقي يعبر عن قضايا الإنسان والمجتمع.

الحلقة 262

أربع دول قادمة مع المستقبل

جاءني أحد تلاميذي، وهو زميل لي في الكتابة، وهو كاتب شاب موهوب. تحدث معي وسألني عن رأيي في أحد الكتاب، فأجبته: "إنه كاتب رائع، وهو صديقي منذ سنوات طويلة، وأعماله متميزة." لكنه أخبرني بأن هذا الكاتب يتحدث عني بسوء في غيابي، وأنه قام ببعض التصرفات غير اللائقة تجاهي. قلت له: "أنا معجب بكتاباته، ولا أريد أن أسمع عنه شيئًا سلبيًا. إذا كنت

تحبني وتؤمن بعملي، فدافع عني أو رد على كلامه عند غيري، لكن لا تأتِ إليَّ بأخبار كهذه."

لا أفهم لماذا نحقد على بعضنا البعض، ولماذا نتصرف بهذه الطريقة؟! أنا لست منافسًا لأحد، سواء في المسرح أو في الكتابة. كل ما أسعى إليه هو الاستمتاع بالأعمال الجيدة. في الرواية، كذلك الأمر، فأنا أكتب منذ 12 عامًا، وكل همي أن أكون أفضل من نفسي، أن أطور أسلوبي وأفكاري، وأتجاوز تجربتي السابقة.

الكاتب الحقيقي لا يظل ثابتًا عند نقطة معينة، بل هو دائم البحث عن الجديد، دائم القلق والتساؤل، يعيش في حالات متباينة بين التوهج والانطفاء، بين الحماس والفتور، بين الصعود والهبوط. إنه إنسان يعيش في أكثر من زمن، يحمل ماضيه بكل ما فيه من نجاحات وإخفاقات، ويعيش حاضره بكل تفاصيله، ويخلق عالَمًا أدبيًا خاصًا به يتجاوز الواقع.

أنا أحب كل زملائي، من أبدع فهو رائع، ومن فشل فهو الأجمل لأنه يحاول أن ينجح. لا أرى نفسي في منافسة مع أحد، ولا أريد أن يكون اسمي مطروحًا في أي خلافات. الإبداع ليس معركة، بل هو مساحة للنمو والتطور. العالم مليء بالجمال، والمواهب الأدبية تتألق مثل النجوم في سماء الثقافة. المشكلة ليست في المبدعين، بل في الجو الثقافي السيئ الذي نعيشه، والذي يحتاج إلى طاقة إيجابية وجمالية تدفعنا للأمام.

لذلك، أناشد تلاميذي وأصدقائي بعدم نقل أي كلام سيئ قيل عني، حتى لو جاء من شخص أعرفه لعشرات السنين. ما يهمني هو النقد الحقيقي، والأبحاث الجادة التي يقوم بها طلاب الدراسات العليا والباحثون الأكاديميون، وليس الأحاديث الجانبية أو التصرفات التافهة.

هدى جمال، بخصوص سؤالك عن مسرحية "ملك الزبالة"، يمكنك زيارة مدونة الكاتب السيد حافظ على "جوجل"، حيث ستجدين مقالات ودراسات كثيرة حول المسرحية، وأبحاثًا أكاديمية من دول عربية عدة، مثل المغرب والجزائر ومصر.

أتمنى أن نتوقف عن الصراعات الصغيرة بين الأدباء، وأن نركز على القضايا الأدبية الحقيقية. لا ينبغي أن ننشغل بالتفاهات، مثل الحديث عن زواج أم كلثوم وعدد زيجاتها، فهذا ليس شأننا كمثقفين. علينا أن نرتقي بحواراتنا ونبتعد عن الإسفاف، فالزمن بحاجة إلى نقاشات جادة وموضوعية.

الحلقة 663

الدخول من الباب الخفي

عنوان حديث اليوم: "الدخول من الباب الخلفي للمسرح".

دائمًا ما نجد بعض الأشخاص يلجؤون للدخول من الأبواب الخلفية، عندما لا يستطيعون الدخول من الأبواب الرسمية. ويُقال إن هناك سلّمًا للمجد، وسلّمًا للخدم.

سلّم المجد يتطلب العمل الجاد، والموهبة الحقيقية، والمثابرة، أما سلّم الخدم فهو يعتمد على التنازلات، والتملّق، والتخلي عن المبادئ والقيم من أجل الوصول إلى مكانة مرموقة.

ففي عالم الفن، هناك من يبدأ مشواره من الصفر، فيمرّ بعدة مراحل:

يعمل في مكتب الكاستينج، ثم يصبح مساعدًا لمخرج ثالث، ثم مساعد مخرج ثانٍ، ثم مساعد مخرج أول، وهكذا حتى يصل إلى النجومية.

وهناك من يصعد سريعًا دون عناء، لأنه يملك المال أو علاقات قوية مع المنتجين أو كُتاب السيناريو الكبار، أو لارتباطه بعلاقات شخصية مع نجوم معروفين.

أما في عالم الصحافة، فبعض الأشخاص لا يعتمدون على موهبتهم أو عملهم الدؤوب، بل يسلكون طريق التودد لرؤسائهم، فيصبح أحدهم مقربًا من رئيس التحرير، يمدحه، ويحمل عنه أغراضه، ويحضر له الشاي والقهوة، ويوصله إلى منزله، وبهذه الطريقة يحصل على الترقية.

أما في السياسة، فالأمر مشابه؛ إذ تجد بعضهم يتقربون من المسؤولين ويظهرون الولاء التام لهم، فيحصلون على المناصب والمكانة الاجتماعية، دون أن يمتلكوا أي كفاءة أو رؤية حقيقية.

أما فيما يتعلق بالمجد الأدبي، فهناك طريقان:

الطريق الصعب: يعتمد على الإبداع الحقيقي، والكتابة الجادة، والمشاركة في المسابقات، والحصول على اعتراف النقاد والقراء.

الطريق السهل: يقوم على التردد على الصحف، والحرص على نشر أخبار شخصية أسبوعيًا في الصفحات الأدبية، والتقرب من الصحفيين والنقاد لضمان التغطية الإعلامية المستمرة.

وبالنسبة للمسرح، فهناك أيضًا من يفشل في التمثيل، فيتجه إلى التأليف المسرحي، لكنه لا يقدم أعمالًا ذات قيمة حقيقية، بل يعتمد على العلاقات والتودد إلى المخرجين والمنتجين. وهناك من يصبح ناقدًا مسرحيًا ليس لأنه يملك رؤية نقدية عميقة، ولكن لأنه يعرف كيف يمدح ويجامل المسرحيات بغض النظر عن مستواها الفني.

المشكلة الأساسية في الوسط الثقافي والفني ليست قلة الموهبة، بل انتشار ثقافة المجاملات والنفاق، والتسلق للوصول إلى القمة بأي ثمن.

علينا أن نتوقف عن دعم هذا الجو الثقافي الملوث، وأن نبحث عن الجمال الحقيقي، وأن نكافح من أجل الإبداع الأصيل، بدلًا من الانشغال بالطرق الملتوية للوصول إلى الشهرة.

ختامًا، دعونا نتمسك بالمبادئ، ونؤمن بأن النجاح الحقيقي لا يُبنى على التملّق، بل على الإبداع، والمثابرة، والصدق في العمل.

أقبح ما يمكن أن يُقال عن أستاذ الجامعة هو جهله بالفرق بين المسرحية الجيدة والمسرحية السيئة، والأسوأ من ذلك أن يدرس

المسرحية السيئة على أنها عمل مسرحي يستحق التقدير. مثل هذا الأستاذ لا يستحق أن يُدرَّس المسرح أو أن يكون جزءًا من تاريخ الأدب، فالتاريخ لا يُخدع، مهما حاول البعض تزويره.

هناك العديد من الأسماء التي كُتبت عنها عشرات الرسائل الجامعية، مثل سمير سرحان، فوزي فهمي، عبد العزيز حمودة، ومحمد عناني، لكن هل هؤلاء حقًا يستحقون هذه المكانة؟ أم أن هناك تضخيمًا لمكانتهم في الساحة الأدبية؟

الناقد الأدبي نزار قباني قال ذات يوم: "الناقد هو شاعر فاشل"، وهذا القول ينطبق على الكثير من النقاد الذين لم يحققوا أي نجاح في الإبداع الأدبي، فلجأوا إلى النقد كوسيلة لإثبات وجودهم.

أما المسرح، فقد أصبح مرتعًا لمن لم ينجحوا في مجالات أخرى، فترى من فشل في التمثيل أو الإخراج يذهب ليقدم أعمالًا مسرحية ضعيفة، ويستخدم وسائل ملتوية للترويج لها، مثل استضافة الصحفيين وتقديم الأموال لهم من أجل الكتابة الإيجابية عن مسرحيات لا قيمة لها.

المسرح الحقيقي لا يمكن أن يكون مساحة مفتوحة لكل من هبّ ودبّ، بل هو مكان للكبار فقط، وحتى لو تم تقديم نفس المسرحية عشرين مرة برؤى إخراجية مختلفة، فهذا أفضل بكثير من تقديم عشرين مسرحية رديئة تُهدر عليها الأموال بلا فائدة.

ما يُقدم على المسرح اليوم ليس كله مسرحًا حقيقيًا، فالغالبية العظمى من الأعمال ليست سوى محاولات فاشلة، كما أن نسبة كبيرة مما يُنشر على أنه شعر أو رواية لا يمتّ بصلة إلى الأدب الحقيقي، حتى وإن حصد جوائز عالمية مثل جائزة نوبل. الجوائز ليست معيارًا للجودة، بل كثير منها يعتمد على إثارة الجدل والترويج لأفكار معينة، دون النظر إلى القيمة الأدبية الحقيقية.

الأدب الحقيقي ليس مجرد وسيلة للفت الأنظار، بل هو رسالة تهدف إلى السمو بالروح، ونشر القيم النبيلة، والتأثير في المجتمع بطريقة إيجابية. الأدب لا يجب أن يكون دعوة للانحطاط، ولا وسيلة لتشويه الرموز الدينية أو القيم الأخلاقية، كما يفعل بعض الكتّاب الذين يروجون للأفكار الهدّامة لتحقيق الشهرة والجوائز.

الناس بحاجة إلى أدب حقيقي يُضيء عقولهم، وليس إلى أعمال مظلمة تزيدهم غرقًا في الجهل والانحلال. المسرح، مثل كل الفنون، يجب أن يكون وسيلة للتنوير، وليس سوقًا للفشل والاستغلال.

الحلقة 264

9 يونيو.. يوم من الذاكرة والتاريخ

في مثل هذا اليوم من عام 1967، خرجت الجماهير إلى شوارع القاهرة مطالبةً ببقاء جمال عبد الناصر في الحكم، رافضةً أي بديل له كزعيم للأمة.- رحم الله -عبد الناصر، رغم كل عيوبه، فقد كان رجلاً أحب مصر بصدق، وناضل من أجل الفقراء والعمال والمحتاجين والفلاحين، وكان دائمًا نصيرًا لهم.

في هذا اليوم خرج عبد الناصر ليستمع إلى صوت الجماهير التي بلغت الملايين، ومهما قيل عن أن هذه المظاهرات كانت مفتعلة، فإن حشد 20 مليون شخص لا يمكن أن يكون مدبّرًا أو مخططًا له. فالتاريخ لا يزيَّف، والحقيقة تبقى رغم محاولات التشويه.

الذكريات ودورها في التاريخ

اليوم، الحديث ليس فقط عن 9 يونيو، بل عن الذكريات وتأثيرها في حياة الأديب والمثقف. هل للذكريات دور في صياغة التاريخ؟ نعم، فالذكريات الفردية هي التي تصنع التاريخ الحقيقي للوطن. ليست المذكرات الصحفية أو البيانات السياسية، بل تلك التي يكتبها الأفراد عن حياتهم اليومية، معاناتهم، أفراحهم وأحزانهم.

على سبيل المثال، ما كتبه عبد الرحمن الجبرتي عن تاريخ مصر هو أحد أعظم التوثيقات لحياة المصريين، حيث سجل أحوال الناس، الفقراء والأغنياء، والصراعات السياسية والاجتماعية. أما اليوم، فنجد أن الصحف والمقالات لا تعكس الحقيقة، بل مجرد توجهات سياسية وإملاءات تُفرض من جهات معينة.

أهمية المذكرات في كشف الحقيقة

من يريد معرفة الحقيقة فعليه قراءة المذكرات، مثل مذكرات وزراء الخارجية المصريين، مذكرات المسرحي الدكتور علي الراعي، مذكرات فؤاد علام حول المثقفين وخياناتهم لبعضهم البعض، مذكرات فاطمة رشدي التي كشفت الكثير عن الوسط الفني، مذكرات سعد زغلول التي تُعد من أعظم ما كُتب عن التاريخ السياسي لمصر.

لكن للأسف، هناك محاولات دائمة لتزييف التاريخ، فمثلًا، ما يُروّج عن مقولة "لو لم أكن مصريًا لوددت أن أكون مصريًا" ليس إلا تلفيقًا، حيث كتب مصطفى كامل في مذكراته أنه كان يتمنى ألا يكون مصريًا بسبب حالة الشعب المصري الذي ينتظر النصر دون أن يسعى إليه.

التاريخ بين الحقيقة والتزييف

التاريخ المصري مليء بالكذب والتضليل، فمنذ العصور القديمة وحتى اليوم، هناك محاولات مستمرة لإخفاء الحقائق. نقرأ في الكتب أن المسرح في الستينيات كان ذهبيًا، لكن الحقيقة أنه كان بلا

جمهور، باستثناء المسرح الكوميدي الذي كان يعج بالناس لأن المصريين يحبون الضحك، حتى لو كان تافهًا.

نعيش اليوم أزمة أخلاقية وثقافية، حيث تنهار القيم، ويُزيَّف الأدب، ويُخدع الناس بأن كل شيء على ما يرام، بينما الحقيقة أن الأمور تحتاج إلى إعادة بناء. ليس بناء المدن والمشروعات فقط، بل بناء الإنسان المصري نفسه، من خلال التعليم والصحة والقوانين التي تخدمه، حتى يستعيد وعيه ويستطيع قيادة نفسه قبل أن يحلم بقيادة الأمة العربية.

مصر.. سحرها في أهلها

رغم كل شيء، تبقى مصر بلدًا ساحرًا، والمصريون يحبون الحياة بشكل فطري، حتى في أصعب الظروف. حتى في المجاعات، كانوا يقيمون حفلات الزفاف، ويرقصون وهم يأكلون من اللحم القليل المتاح لهم. شعب يعشق الفرح رغم المعاناة، ويستطيع أن يخلق الجمال من الألم.

الحلقة 265

المأزق الثقافي الجزء الأول

فالمحاولة شرف، والمحاولة شرف في كتابة عمل إبداعي، والمحاولة شرف في أن يقوم الإنسان بصنع شيء جديد. المحاولة تعني أنك تبتكر، أنك تُبدع، أنك تصنع لوحة ترحيب كبيرة. المحاولة شرف في كل شيء.

في الماضي، كانت هناك محاولات لإنشاء تجمعات أدبية، حيث اجتمع عدد من الأدباء والفنانين وشكّلوا مجموعات تهدف إلى البحث عن تيارات أدبية جديدة. على مرّ التاريخ، لم تكن هذه التجمعات مجرد تجمعات فكرية، بل كانت تسعى إلى إحداث تغيير في المشهد الأدبي، من خلال إصدار منشورات ومجلات مكتوبة بخط اليد أو مطبوعة بطرق بسيطة.

كانت التيارات الأدبية، حتى التجريدية والتكعيبية، وكذلك التيارات السريالية، جميعها نتاج مجموعات من الفنانين الذين سعوا إلى إحداث تغيير في شكل الواقع الثقافي والأدبي في مصر. في الستينات، ظهرت فكرة "المجموعات القصصية"، والتي قادها عدد من الشباب الطموحين، مثل الفنان محمود بقشيش، والفنان سيد خميس، والكاتب محمد البساطي، ومحمد حافظ رجب، وعز الدين نجيب. هؤلاء الخمسة أسسوا مجموعة قصصية حملت اسم "عيش وملح"، في حين أن الكاتب الكبير الأستاذ يوسف أطلق مجموعة قصصية أخرى حملت اسم "المجموعة القصصية".

لقد شكّلت هذه المجموعات تيارًا جديدًا في الكتابة الواقعية، خصوصًا في القصة القصيرة. وفي الوقت ذاته، كان هناك الأستاذ محمد صدقي، الكاتب القصصي والروائي، الذي كان ناشطًا في الحزب الشيوعي ثم عمل في جريدة "الجمهورية". كان محمد صدقي شخصية فاعلة، حيث كان يملأ الساحة الأدبية بأعماله ومواقفه الداعمة للأدباء الشباب والفنانين، ومن بينهم أنا. كنت أدعوه لمشاهدة عروضي المسرحية في الإسكندرية، فكان يركب القطار ويأتي، ويقيم على نفقته الخاصة لمتابعة العروض.

الواقعية التي تبنّاها الدكتور عبد الناصر هلال والشاعر العظيم محمد صدقي كانت تمثّل جوهر الفكر الاشتراكي، وكانت تعبّر بوضوح عن هموم الطبقة العاملة. كان ضمن هذا التيار أيضًا محمود بقشيش، وسيد خميس، ومحمد البساطي، ومحمد حافظ رجب، وعز الدين نجيب. هؤلاء الأساتذة الكبار أسّسوا مدرسة جديدة في كتابة القصة القصيرة الواقعية.

ومع مرور الوقت، بدأت هذه المجموعات الأدبية تتلاشى. وفي مرحلة لاحقة، ظهر اتجاه جديد بقيادة إبراهيم أصلان، الذي أطلق مجموعة أدبية جديدة تحت اسم "كل من عليها خان"، والتي فازت بجائزة دولية قيمتها 60,000 دولار هذا العام. وعلى الرغم من ذلك، لا أشعر بالضيق، فما زالت هناك محاولات مستمرة وإن كانت بأشكال أبسط.

بالعودة إلى موضوعنا الأساسي، كانت هناك مجلة أدبية تُدعى "جاليري 68"، وكان يرأس تحريرها الدكتور أحمد مرسي – شفاه الله – وهو صديقي العزيز والمحترم. كنت أتمنى أن يتولى منصب وزير الثقافة أو أن يصبح رئيسًا للمجلس الأعلى للثقافة، فقد كان

شخصية عظيمة. في سنواته الأخيرة، ركّز على الأدب الشعبي والاتجاهات الحديثة في الكتابة.

جاءت مجلة "جاليري 68" كردّ فعل غاضب على نكسة 1967، حيث حاولت التعبير عن مشاعر الهزيمة من خلال الكتابة. وكان رئيس تحريرها الدكتور أحمد مرسي، ومدير تحريرها الأديب جميل عطية، وشارك في تحريرها كبار الأدباء مثل إدوارد الخراط وإبراهيم منصور. كانت هذه المجلة بمثابة زلزال في الوسط الأدبي، وكتب فيها الكاتب محمد الشيخ.

بالمناسبة، أدعوكم إلى الاطلاع على موقع "الشيخ"، وهو موقع رائع يوثّق المجلات والمقالات الثقافية والأدبية. وأود أن أشكر الأستاذ محمد الشامخ على هذا الجهد العظيم الذي قام به على نفقته الخاصة للحفاظ على الإرث الثقافي المصري والعربي.

أتذكر أنني قدّمت قصيدة لمجلة "جاليري 68" من تأليف صديقي الشاعر البورسعيدي ممدوح بدار، وتم نشرها هناك. في تلك الفترة، كنت قد أنشأت مكتبًا للمسرح التجريبي، وكنت أقدّم تجارب

جديدة مثل مسرح السكون، ومسرح الحركة، وغيرها من التطورات التي كانت تفوق المستوى السائد آنذاك.

لكن البعض كانوا يرون أن التجديد يجب أن يأتي فقط من خلال نجيب محفوظ، رغم أن نجيب محفوظ كان كاتبًا مبدعًا، لكنه لم يكن الوحيد القادر على التجديد. بالنسبة لي، كنت أتعامل مع الأمر ببساطة شديدة، وبدأت في تكوين مجموعات مسرحية شبيهة بالمجموعات الأدبية. في المنصورة، على سبيل المثال، قام صديقنا فتحي جهازي بإنشاء مجموعة مسرحية مشابهة، وهكذا استمرت المحاولات لخلق تيارات جديدة في الأدب والمسرح.

الحلقة 266

الخروج من المأزق الثقافي الجزء الثاني

كنت قد تحدثت عن إنشاء مجموعة مسرحية، حيث طرحت فكرة أن يكون المسرح شاملاً، بحيث لا يقتصر فقط على العرض المسرحي، بل يدمج داخله القصة، والشعر، والمسرحية القصيرة جدًا.

الأستاذ عبد الله، كان هذا التكوين الذي نشأ نتيجة للتجربة التي اكتسبتها من نشأتي في منظمة الشباب الاشتراكي، حيث تعلمت هناك كيفية تشكيل المجموعات. لكنني، على عكس ما قد يُظن، لم أكن أجند أحدًا سياسيًا.

في عام 1970، بدأت المجموعة تتكون من أفراد مثل الأستاذ مسعد خميس، وهو قاص لم يكن له اهتمام بالمسرح في البداية، فكان عليّ أن أجد طريقة لإقناعه. كنت أذهب إليه أثناء لعبه البلياردو، وأنتظره حتى ينتهي، ثم أعطيه كتابًا عن المسرح وأحاول إقناعه. وهكذا، انضم إلى المجموعة، بالإضافة إلى يوسف عبد الحميد، المختص بالإخراج المسرحي، والذي قرأ كتاب "إعداد الممثل" لستانيسلافسكي.

مع مرور الوقت، أصبحت المجموعة أكثر تماسكًا، وانضم إليها أشخاص مثل محمد عباس، وزوجته حسين عبد الوهاب، التي كانت تدرس في المعهد التجاري، وكان لديها شغف كبير بالمسرح.. كنت مقتنعًا بأن المسرح يمكنه تعليم الناس وتغييرهم، تمامًا كما فعل السياسي هوشي منه حين استخدم التعليم أثناء الحرب، فكان يعلّم الناس القراءة والكتابة والبناء، لدرجة أن الشعب

كان يعيد بناء الجسور التي كانت تُدمرها أمريكا في اليوم التالي. بالنسبة لي، كان هذا رمزًا عظيمًا لبناء الإنسان والمجتمع.

ضمن المجموعة أيضًا، كان هناك عادل شاهين، الذي كان مغنيًا للقرآن الكريم، وعماد خطاب، الذي كان أصغر الأعضاء سنًا، وهو الآن مؤرخ معروف. كان هدفي هو أن يكون المسرح مدرسة شاملة تُعد الممثلين بشكل ثقافي وفني عميق.

برأيي الشخصي، الممثل لا يجب أن يكون مجرد مؤدٍ، بل يجب أن يمتلك ثقافة واسعة، حيث يتكوّن عقله من أربعة أرباع: ربع للفكر، وربع للتمثيل، وربع للموسيقى، وربع لفهم المسرح وتقنياته. الموسيقى هنا لا تعني فقط الألحان، بل تشمل أيضًا الطبقات الصوتية، والتوقيت، وكيفية تسليم واستلام الجُمل الحوارية، وهو أمر بالغ الأهمية للممثل المحترف.

الممثل المثقف هو الذي يعرف كل تفاصيل المسرح، لا مجرد حامل لرسالة. للأسف، معظم النجوم والممثلين في مصر يفتقرون إلى هذه الثقافة، فهم لا يهتمون بالقراءة أو البحث أو تطوير أنفسهم. من بين الذين تعاملت معهم، لم أرَ مثقفًا مثل نور الشريف،

فقد كان يقرأ يوميًا، وكان متابعًا نشطًا للنشاطات الثقافية، إلى جانب الفنان محمود حميدة. أما البقية، فمعظمهم لم يكونوا على المستوى المطلوب من الثقافة.

في مجموعتي المسرحية، انضم إلينا أيضًا الأستاذ علي الجندي، الذي يُعد أحد أعظم مصممي الديكور بعد محمود رضا، وهو ليس فقط فنانًا، بل كان مفكرًا ومثقفًا واسع الاطلاع على الاشتراكية والثقافة بشكل عام. كما انضم إلينا سعيد عثمان، ثم لاحقًا فاروق حسني، الذي أصبح فيما بعد وزيرًا للثقافة.

كانت الكنيسة السويدية في الإسكندرية هي المكان الذي احتضن تجربتي المسرحية في بداياتها. ذهبت إلى القسيس، واجتمعت معه برفقة يوسف عبد الحميد ومسعد خميس، وأقنعناه بفكرة المسرح، فوافق على دعمنا. ومن هناك، انطلقت أولى مسرحياتنا تحت عنوان "الكبرياء والتفاهة"، حيث ركّزنا على تطوير أداء الممثلين وصقل ثقافتهم.

مصطفى عبد المعطي شارك معنا في تصميم الديكور، فيما لعب دور البطولة محمد أنور، الذي كان أستاذًا مرموقًا في تدريس اللغة

الفرنسية. هكذا، أصبح لدينا فريق مكوّن من شباب متحمسين، جميعهم يؤمنون بضرورة تطوير المسرح، لأن نكسة 1967 أثبتت أن المسرح التقليدي لم يكن قادرًا على الوصول إلى الجماهير، بل كان وسيلة لتخديرها وخداعها.

هذا هو ما أشار إليه الناقد لويس عوض لاحقًا، عندما قال إنه كان من الأفضل لو أن المثقفين، بعد هزيمة 67، تخلوا عن الكتابة والصحافة مؤقتًا، لأن الإعلام كان يساهم في تضليل الناس، وكان بعض الأدباء يغيّرون ولاءاتهم حسب النظام الحاكم، فكانوا مع عبد الناصر، ثم مع السادات، ثم مع مبارك، متحولين من قناع إلى آخر، مما أفقدهم مصداقيتهم.

في الحقيقة، بعض النجوم الكبار في السينما لم يكونوا سوى واجهات إعلامية، باستثناء قلة قليلة كانت تمتلك وعيًا ثقافيًا حقيقيًا، مثل نور الشريف، الذي كان حاضرًا في كل الندوات الثقافية، وكنت ألتقيه حتى عام 2009-2010 خلال مناقشات أدبية.

المجموعات الثقافية كانت دومًا عاملاً مهمًا في تاريخ الأدب والفن، كما كان الحال مع جماعة أبولو التي انطلقت في زمن الشاعر صلاح عبد الصبور، أو كما حدث مع مجموعة محمود بقشيش، وسيد خميس، ومحمد رشاد، ومحمد حافظ، التي كانت جزءًا من تيار الواقعية الجديدة.

هذه الواقعية التي قادها الكاتب محمد صدقي، وهو كاتب لا يُذكر اسمه كثيرًا رغم قيمته الكبيرة. من العيب أن ينسى الوطن مبدعيه، فهؤلاء هم من صنعوا جزءًا من تاريخه الثقافي.

لحلقة 267

الصالونات الثقافية

موضوع حلقتنا اليوم من "مصر المحروسة"، البلد الذي يحتضن بين أرضه الطاهرة 220 من أهل البيت مدفونين بها. تظل مصر دائمًا في القلب، فهي موطن الحضارة والتاريخ.

حديثنا اليوم عن المنصات الثقافية، وتحديدًا الصالونات الثقافية. في مصر، استوحينا فكرة الصالونات الثقافية من الفرنسيين، منذ

الحملة الفرنسية على مصر، حيث كان نابليون يجتمع بالمشايخ والعلماء. لكن في الحقيقة، الصالونات الثقافية وجدت منذ العصور الإسلامية القديمة، في الدولة الفاطمية، والدولة الأيوبية، والدولة العباسية، وحتى الدولة الأموية، حيث كان الخلفاء يجمعون الشعراء لمناقشة القضايا الأدبية والثقافية.

من بين تلك الصالونات الشهيرة، كان هناك صالون العقاد، وهو أحد أهم الصالونات الثقافية، حيث كان يجمع نخبة من المفكرين والمثقفين لمناقشة مختلف القضايا الأدبية والفكرية. وقد كتب عنه الأستاذ أنيس منصور كتابًا مهمًا بعنوان "في صالون العقاد كانت لنا أيام"، وصف فيه كيف كان يجتمع نخبة القوم لمناقشة قضايا الأدب والثقافة والفكر.

أما عن الصالونات الثقافية في العالم العربي، فقد حضرت بنفسي عدة صالونات أثرت في المشهد الثقافي. كان من بينها صالون الدكتور عبد العزيز المقالح في اليمن، وهو من أروع الصالونات التي شهدتها. كان هذا الصالون يعقد يوميًا بعد انتهاء العمل، ويجمع كبار المثقفين، والشعراء، والمفكرين، وحتى الأجانب المهتمين بالأدب العربي. كانت تُناقش فيه القضايا السياسية،

والأدبية، والشعرية، وتُقرأ فيه المقالات المترجمة، وتوزع على الحضور، في جو ثقافي راقٍ يعكس عظمة اليمن الثقافية.

وفي مصر، كان هناك صالون الدكتور عبد الناصر هلال، الذي كان يجمع نخبة من المثقفين، حيث كان يطرح كل لقاء موضوعًا محددًا للنقاش، مثل "أزمة القصة القصيرة" أو "الحداثة في الشعر العربي"، وكان يضم كبار الأدباء والوزراء والمثقفين، لكنه توقف عندما عاد الدكتور عبد الناصر إلى السعودية، التي أدركت قيمته الثقافية وقررت استعادته إليها.

كذلك، لا يمكنني أن أنسى صالون الدكتور حسام عقل والأستاذة غادة صلاح الدين، حيث قاما بتنظيم ندوات ثقافية متميزة، جمعت كتابًا ومثقفين من مختلف الدول العربية، مثل تونس، الجزائر، المغرب، العراق، ومصر، وكان من الصالونات التي أحدثت تأثيرًا كبيرًا في المشهد الثقافي.

لكن للأسف، في عصرنا الحالي، نشهد ظاهرة تلميع شخصيات ثقافية غير مؤهلة، حيث يتم الترويج لبعض الكتاب غير المعروفين في بلادهم على أنهم مبدعون كبار، في محاولة لخداع الجماهير.

هذه الظاهرة تضر بالحركة الثقافية، إذ يتم تقديم أسماء لا تستحق على حساب المواهب الحقيقية. الأدب والثقافة بحاجة إلى نقد حقيقي وإلى تسليط الضوء على المبدعين الحقيقيين، وليس إلى صناعة أسماء وهمية.

في الختام، أؤكد أن الصالونات الثقافية كانت ولا تزال ركيزة أساسية للحراك الثقافي، وأتمنى أن تعود بقوتها وتأثيرها، بعيدًا عن المصالح الشخصية والمجاملات الزائفة.

حديث حول واقع الصالونات الثقافية والمشهد الثقافي العربي

أيها الإخوة، كيف يُصنع الإبداع؟ كيف تُبنى الثقافة؟ كيف نرتقي بالفكر؟ هذا هو التساؤل الأهم الذي يجب أن نطرحه على أنفسنا في ظل الفوضى الثقافية التي نعيشها اليوم.

الصالونات الثقافية الحقيقية مقابل الصالونات الوهمية

إننا نشهد اليوم ظاهرة غريبة، حيث أصبحت هناك صالونات ثقافية لا تمت للأدب والثقافة بصلة، بل تحولت إلى منصات لتلميع

أشخاص عديمي الموهبة، لا يمتلكون أي رؤية أدبية حقيقية. هؤلاء الأفراد يتم تصويرهم وكأنهم قامات فكرية عظيمة، بينما في الواقع، لا يعرفهم أحد، ولا يحملون أي قيمة إبداعية تُذكر.

مأساة المسابقات الأدبية ولجان التحكيم

المشكلة لا تتوقف عند الصالونات الوهمية، بل تمتد إلى المسابقات الأدبية، حيث نجد أن من يتصدرون لجان التحكيم هم أشخاص لا يمتلكون الحد الأدنى من المعرفة النقدية والأدبية. كيف يمكن أن يُحكم على عمل أدبي من قِبل شخص لا يعرف سوى المنفلوطي أو البحتري؟ كيف يمكن أن يُمنح لقب "الناقد الكبير" أو "الأديب العظيم" لأشخاص لم يُقدموا إبداعًا حقيقيًا؟

بل أصبحنا نرى جوائز تُمنح بناءً على المحسوبيات، لا على أساس الكفاءة والإبداع، وأصبح هناك تواطؤ في منح الألقاب، حتى صارت الساحة الثقافية مليئة بـ "أنصاف المبدعين" و"أنصاف النقاد"، الذين يبيعون الوهم للجماهير.

دور المؤسسات الثقافية الرسمية: فساد إداري وثقافي

عندما نلتفت إلى المؤسسات الثقافية الحكومية، نجد أن الحال لا يختلف كثيرًا، فهناك من يتصدر المشهد لمجرد أنه موظف في وزارة الثقافة أو مسؤول في هيئة ما، دون أن يمتلك أي موهبة أو رؤية ثقافية. هؤلاء الأشخاص، الذين لا يتعدى دورهم أكثر من "مدير إداري"، أصبحوا يحكمون على الإبداع ويوجهون الحركة الثقافية، بينما يقبع الأدباء الحقيقيون في الظل، مهمشين، بلا فرصة لإيصال صوتهم أو نشر أعمالهم.

إن الصحف الثقافية، التي كان يُفترض أن تكون منابر للإبداع الحقيقي، أصبحت هي الأخرى مجرد أدوات ترويجية لأسماء بعينها، فنجد صفحات ثقافية تحتفي بروايات متواضعة لمجرد أن كاتبها تربطه علاقة بأحد المحررين، بينما يتم تجاهل الأعمال الجادة التي تستحق الاهتمام والنقد الموضوعي.

ندوات بلا جمهور، ومشاريع ثقافية بلا رؤية

إذا نظرنا إلى الندوات الثقافية التي تُعقد في المؤسسات الكبرى، نجدها غالبًا بلا جمهور حقيقي. يجلس على المنصة عشرة متحدثين، بينما في القاعة خمسة مستمعين فقط! أين الجمهور؟ أين

التأثير؟ لماذا أصبح الحضور مقتصرًا على مجموعة من الأصدقاء والمجاملات المتبادلة؟

حين حضرت ندوة في "بيت أحمد شوقي"، وجدت أن القاعة تكاد تكون فارغة، رغم وجود أسماء ثقافية بارزة مثل الدكتور محمد عناني. كيف يمكن أن يكون هذا حال الثقافة في بلد مثل مصر، التي كانت دائمًا منارة للفكر العربي؟

الثقافة في خطر!

إن ما نشهده اليوم هو انهيار للحياة الثقافية. الثقافة أصبحت مهددة بسبب السطحية التي انتشرت، وبسبب تحويل المشهد الثقافي إلى مجرد استعراضات زائفة. إذا لم نعد إلى النقد الحقيقي، وإلى الاحتفاء بالمبدعين الحقيقيين، فإن الثقافة العربية بأكملها ستسقط في مستنقع التفاهة والرداءة.

نحن بحاجة إلى إعادة تقييم المشهد الثقافي، إلى مراجعة أنفسنا، إلى إعادة الاعتبار للأدباء الحقيقيين، إلى أن نتوقف عن صناعة أصنام

وهمية باسم الثقافة، وإلى أن نحارب هذا "التهريج الثقافي" الذي يهدد الفكر العربي كله.

كلمة أخيرة

الثقافة ليست مجرد تجمعات شكلية، وليست مجرد أسماء تُمنح جزافًا، وليست مجرد كتب تُنشر بلا قيمة. الثقافة هي جوهر الإنسان، وهي ما يميز الأمم المتقدمة عن الأمم المتخلفة. إذا أردنا مستقبلًا أفضل، فعلينا أن نعيد بناء الثقافة على أسس صحيحة، وأن نعيد للكلمة قيمتها، وللإبداع مكانته.

الحلقة 268

المنكرون الغشاشون

الثالث والعشرون من يونيو، وهو ذكرى مرور اثنين وخمسين عامًا على قيام الثورة العظيمة. قد يراها البعض لعنة، بينما يراها آخرون حدثًا مجيدًا، وأنا من أولئك الذين يعتبرونها ثورة عظيمة، فكل ثورة عظيمة تحمل في طياتها عيوبًا، تمامًا كما أن لكل شخصية عظيمة نقاط ضعفها. لا يوجد مجتمع كامل سوى المجتمع الذي أراده الله- سبحانه وتعالى-.

في الثالث والعشرين من يونيو، قامت الثورة بقيادة الجيش المصري، وقد لخّصها الزعيم جمال عبد الناصر، مستعرضًا الظروف التي أحاطت بها في كتابه فلسفة الثورة. وأود هنا أن أشكر الأستاذ سعيد عثمان، الكاتب المبدع، شكرًا جزيلًا لك.

أفكر في إجراء بعض التعديلات على اللقاء الأسبوعي، ليصبح أكثر انفتاحًا، بحيث أتحدث عن انطباعاتي حول أي كتاب أو مقال أقرؤه، أو حتى أفكار يومية تخطر ببالي، وذلك في حديث يمتد لخمس دقائق.

أما عن الكتّاب الذين أتابعهم، فأجد الكاتب المتمرد هوشنك رائعًا، وكذلك الكاتب الكردي السوري حسني كؤوس، فأسلوبه متميز وأنا معجب بلغته وكتاباته. وأيضًا، أقدّر أعمال الأستاذ سعيد عثمان. أما الأشخاص الذين أحبهم، فهم أصدقائي الذين يتابعونني بشغف واهتمام.

واليوم، أود الحديث عن قضية "الإنكار" والمنكرين، وهي مسألة شديدة الأهمية. لماذا نجد شعوبًا تتمسك بالوفاء، بينما تعاني أخرى من غيابه؟ ولماذا، بعد مرور الزمن، يستيقظ الضمير الأدبي في بعض المجتمعات، فتعيد الاعتبار لمن ظلمتهم؟

لاحظت مؤخرًا ظاهرة خطيرة تتعلق بمحو ذاكرة الوطن، حيث يتم استبعاد المبدعين الحقيقيين بدعوى "التطوير والتجديد". للأسف،

نشهد محو أسماء رموز بارزة من تاريخنا، كما يحدث الآن في مصر، حيث يتم تغيير أسماء مدارس عريقة مثل السعيدية والعباسية، واستبدالها بأسماء أخرى وفقًا لرغبات فردية أو قرارات لجان تدّعي أنها تعزز الولاء، لكنها في الحقيقة تهدم القيم العظيمة المتجذرة في نفوس الناس.

الوطن ليس مجرد مساحة جغرافية، بل هو ذاكرة ووجدان. وإذا عبثنا بذاكرته، فإننا نحوله إلى كيان بلا هوية، كما قال الشاعر الكبير صلاح عبد الصبور في قصيدته:

"أصبحت رؤوس الحيوانات على رؤوس البشر، فتحسس رأسك**!"**

خلال زيارتي الأخيرة إلى الإسكندرية، والتي استغرقت خمسة عشر يومًا بين مراجعات طبية واستضافة كريمة من أخي أحمد حافظ، لاحظت أن مسرح الأنفوشي المطل على البحر قد تحوّل إلى قصر ثقافة الأنفوشي، وهو صرح ثقافي عظيم.

وهنا أستذكر قصة الفنان الكبير يوسف وهبي، الذي قرر مغادرة القاهرة والتوجه إلى الإسكندرية لإعادة بناء فرقة رمسيس المسرحية، بعد أن تعرض للظلم هناك. يوسف وهبي، الذي أنفق كل أمواله لإنشاء مدينة فنية متكاملة تضم مسرحًا واستوديوهات سينما وإذاعة، وجد نفسه ضحية لقرار تعسفي من موظف ضرائب، صادر ممتلكاته بدعوى تهربه من الضرائب**!**

في الإسكندرية، حاول وهبي بناء فرقة جديدة، لكنه واجه صعوبات عديدة، منها الاختلاف في أسلوب الأداء المسرحي، مما أدى إلى استهزاء البعض به، رغم كونه رمزًا من رموز المسرح الكلاسيكي.

وهنا نجد أن مسألة تغيير التاريخ ليست بجديدة، فمنذ عهد الفراعنة، اعتاد الحكام محو إنجازات من سبقوهم ونسبتها إلى أنفسهم. على سبيل المثال، قام رمسيس الثاني بمحو أسماء الفراعنة الذين سبقوه من على جدران المعابد، ووضع اسمه بدلًا منهم.

حتى في العصر الحديث، نجد هذه الظاهرة تتكرر، حيث يتم محو أسماء الشخصيات التي أسهمت في بناء الوطن، واستبدالها بأسماء أخرى وفق الأهواء السياسية. رأيت ذلك بأم عيني عندما زرت نادي الجياد، حيث تم تغيير اسم قاعة مخصصة لكبار السن، والتي كانت قد افتُتحت قبل عشر سنوات على يد الدكتور سمير، وذلك بمجرد أن جاء مسؤول جديد أراد أن يضع اسمه مكانه!

هذه النزعة إلى طمس ذاكرة الوطن ليست سوى انعكاس لعقلية لا تؤمن بالتاريخ، ولا تدرك أن الأمم تبقى بفضل من يحفظون تراثها ويحترمون رموزها.

الحلقة 269

المنكرون الغشاشون

المشهد الثقافي والفني بين التهميش والفساد

إعادة تسمية المسارح وضياع الرموز الثقافية

في قلب القاهرة، حيث كانت تتألق المسارح العريقة مثل "مسرح محمد فريد" و"مسرح توفيق الحكيم"، نجد أن هذه المسارح فقدت هويتها، وتحولت إلى مجرد مبانٍ تحمل أسماء لا تعبر عن تاريخها الفني. المسرح الذي كان رمزًا للكوميديا أصبح يحمل اسمًا آخر، وكأن التاريخ يمكن تغييره بجرة قلم!

غياب الوفاء للرموز الوطنية

حين رحل جمال عبد الناصر، خرجت الملايين في جنازته، ليس في مصر فقط، بل في جميع أنحاء الوطن العربي، وحتى في الأراضي الفلسطينية المحتلة، حيث نُظمت جنازات رمزية تعبيرًا عن حب الشعوب لهذا القائد. لكن، أين التقدير الحقيقي له في مصر؟ هل من المنطقي أن تكون هناك شوارع وجامعات تحمل اسمه في الإمارات، بينما في مصر بالكاد نجد له ميدانًا يحمل اسمه؟

جمال عبد الناصر لم يكن مجرد زعيم سياسي، بل كان من أعمدة العدالة الاجتماعية. هو من وضع أسس مجانية التعليم، وهو من أرسى نظام التأمين الصحي، وهو من أقرّ معاشات لجميع

المواطنين بعدما كان الأمر مقتصرًا على "مكافآت نهاية الخدمة" التي يمنحها أصحاب العمل وفق أهوائهم.

الإهمال في تكريم العمالقة

ليس فقط عبد الناصر من عانى من قلة التقدير، بل أيضًا رموز الفن والثقافة. أم كلثوم، التي قدمت ذهبها لصالح الوطن، والتي جابت الدول العربية لجمع التبرعات بعد نكسة 67، لم تحصل على التكريم الذي يليق بها. كيف يكون لدينا ساحات كبرى في مصر، ولا نجد فيها تمثالًا يليق بكوكب الشرق؟ كيف يكون لدينا ميدان التحرير، ولا نرى فيه سوى ديكورات سطحية بدلًا من نصب تذكاري لأحد عمالقة الوطن؟

عبد الحليم حافظ، الذي تسببت وفاته في حالات انتحار من شدة حب الناس له، لم يُكرّم كما ينبغي، واكتُفي بتمثال صغير في دار الأوبرا، بينما يستحق أن يكون له ميدان يحمل اسمه في قلب القاهرة.

الفساد في الفنون والمسرح

ما يحدث في المشهد الثقافي والفني كارثي! نجد أشخاصًا يكتبون المسرح وكأنهم يكتبون "نشرة إعلانات"، ومع ذلك تُعرض أعمالهم على أكبر المسارح. نجد من يجهل أبسط قواعد الكتابة

الإذاعية، ورغم ذلك، تُنتج أعماله بأعداد هائلة من الشخصيات التي لا تمتلك أي عمق درامي.

المفارقة أن حتى من لا علاقة لهم بالإبداع، مثل الموظفين الإداريين في المؤسسات الثقافية، أصبحوا يفرضون أنفسهم ككتّاب ومخرجين ومنتجين، فقط لأنهم يملكون السلطة، وليس لأنهم يملكون الموهبة.

التساهل في التعليم الفني والمسرحي

حتى في المؤسسات الأكاديمية، نجد العجائب! طالب في المعهد العالي للفنون المسرحية، في سنته الرابعة، كتب في إجابته عن "نظرية أرسطو" ما يلي:

"اشترِ الملوخية، اغسلها جيدًا، قطعها، ضعها في الشمس، ثم أضف فصين من الثوم."

هذا الطالب لم يُفصل، بل طُلب من الأساتذة "التغاضي" عن إجابته! بل وتكرر الأمر في دفعات أخرى، وأصبح النجاح سهلًا لمن لا يستحق، حتى لو كان يكتب عن طريقة طهي "البامية" بدلًا من تحليل المسرحيات!

الفساد في التعليم الثقافي والفني لا يقتصر على مصر

هذه الظاهرة ليست حكرًا على مصر، بل حتى في أماكن أخرى مثل الكويت، حيث تم كشف حالات تزوير وغش في معهد المسرح، مما أدى إلى فصل بعض المتورطين خلال 24 ساعة. لكن الفارق أن هناك من يتحرك سريعًا لوقف هذه المهزلة، بينما في أماكن أخرى، يتم التساهل مع الفساد حتى يصبح هو القاعدة، والإبداع هو الاستثناء.

ختامًا

إن ما يحدث في المشهد الثقافي والفني هو خيانة حقيقية للإبداع. خيانة للمسرح، للكتابة، وللفكر. إننا بحاجة إلى مراجعة أنفسنا، وإلى محاربة الرداءة التي أصبحت تسيطر على الساحة. إذا لم نتدارك الأمر، فإن الأجيال القادمة لن تجد أمامها سوى نماذج سطحية تكرّس للفكر الاستهلاكي بدلًا من الإبداع الحقيقي.

الحلقة 270

أنا والشارع

حديث عن الشارع المصري وأزماته اليومية

.

جمعتنا الحياة صدفةً أو بموعد، واليوم ألتقي بكم لأتحدث عن قضية مختلفة قليلًا عن الأدب والثقافة. فنحن نُحمّل أنفسنا همّ الثقافة وكأنها مسألة حياة أو موت، بينما في نظر الكثيرين، ليست سوى سلعة ترفيهية، شيء يُستهلك ثم يُنسى، خاصة في مجتمعات العالم الثالث، حيث تُعتبر الثقافة مجرد ترف وليس ضرورة.

الشارع المصري – الواقع والمآسي

هذا الأسبوع، كنت شاهدًا على العديد من المشاهد التي تعكس واقع الحياة في مصر اليوم. البؤس والضغوط الاقتصادية طالت الجميع، حتى أنني تلقيت اتصالًا من صديق يمر بأزمة شديدة. ذهبت لمقابلته، استقليت سيارة أجرة، ووجدت أن الأجرة وصلت إلى 50 جنيهًا! وعندما وصلت، كان المكان الذي يقيم فيه متواضعًا للغاية، أثاث بسيط بالكاد يكفي، لكنه لم يكن مهمًا، الأهم كان الحديث عن أزمته.

جلسنا في مقهى، وهناك، بدأت أرى كيف تحوّل المجتمع إلى آلة للاحتيال الناعم، أو كما أُسميه: "التسول المقنع". أصبح هناك نوع من الاستجداء المهذب، ليس فقط من الفقراء، بل من أفراد لم تكن تتوقع منهم هذا التصرف، أشخاص متعلمين، مثقفين، وأصحاب شهادات عليا، لكنهم وجدوا أنفسهم في مواجهة قاسية مع الواقع.

التحايل في الحياة اليومية – من المقاهي إلى المؤسسات

حتى في أبسط الأشياء، أصبح هناك نوع من الاستغلال غير الأخلاقي. طلبت زجاجة ماء في أحد المقاهي الشعبية، فجاء النادل بزجاجة مياه معدنية وتركها أمامي، وعندما سألت عن السعر، اكتشفت أنهم يحتسبون سعر المياه العادية بنفس سعر المياه المعدنية! تحايل بسيط لكنه يعكس حالة من الفوضى التي نعيشها.

أما عن المعاشات، فحدث ولا حرج. كاتب كبير، يُفترض أنه أحد رموز الأدب، معاشه الشهري 300 جنيه فقط! 300 جنيه في الشهر لا تكفي لدفع أجرة مقهى لبضعة أيام. هل يُعقل أن يكون هذا حال من أفنوا حياتهم في الكتابة والإبداع؟ هل يُعقل أن يكون هذا تقدير الدولة لمن ساهموا في تشكيل وعي المجتمع؟

هل مصر ما زالت كما كانت؟

التحولات التي طرأت على الشارع المصري ليست مجرد تغيّرات اقتصادية، بل هي تحولات أخلاقية وسلوكية أيضًا. أصبح الغش عادة، والاستغلال أمرًا مقبولًا، والاحتيال أسلوب حياة. حتى الأماكن التي كانت تُعرف بكونها تجمعات شعبية بسيطة، تحوّلت إلى ساحة للنصب والتحايل.

الحياة في مصر لم تعد كما كانت، والأزمات التي تواجه المجتمع اليوم ليست مجرد أزمات مالية، بل هي أزمات ضمير وأخلاق وقيم. وإذا لم نبدأ بمراجعة أنفسنا وإصلاح هذا الانحدار، فإننا قد نجد أنفسنا في واقع أكثر قسوة مما نحن فيه الآن.

المشهد الثقافي والفني بين التهميش والفساد

إعادة تسمية المسارح وضياع الرموز الثقافية

في قلب القاهرة، حيث كانت تتألق المسارح العريقة مثل "مسرح محمد فريد" و"مسرح توفيق الحكيم"، نجد أن هذه المسارح فقدت هويتها، وتحولت إلى مجرد مبانٍ تحمل أسماء لا تعبر عن تاريخها

الفني. المسرح الذي كان رمزًا للكوميديا أصبح يحمل اسمًا آخر، وكأن التاريخ يمكن تغييره بجرة قلم!

غياب الوفاء للرموز الوطنية

حين رحل جمال عبد الناصر، خرجت الملايين في جنازته، ليس في مصر فقط، بل في جميع أنحاء الوطن العربي، وحتى في الأراضي الفلسطينية المحتلة، حيث نُظمت جنازات رمزية تعبيرًا عن حب الشعوب لهذا القائد. لكن، أين التقدير الحقيقي له في مصر؟ هل من المنطقي أن تكون هناك شوارع وجامعات تحمل اسمه في الإمارات، بينما في مصر بالكاد نجد له ميدانًا يحمل اسمه؟

جمال عبد الناصر لم يكن مجرد زعيم سياسي، بل كان من أعمدة العدالة الاجتماعية. هو من وضع أسس مجانية التعليم، وهو من أرسى نظام التأمين الصحي، وهو من أقرّ معاشات لجميع المواطنين بعدما كان الأمر مقتصرًا على "مكافآت نهاية الخدمة" التي يمنحها أصحاب العمل وفق أهوائهم.

الإهمال في تكريم العمالقة

ليس فقط عبد الناصر من عانى من قلة التقدير، بل أيضًا رموز الفن والثقافة. أم كلثوم، التي قدمت ذهبها لصالح الوطن، والتي جابت الدول العربية لجمع التبرعات بعد نكسة 67، لم تحصل على

التكريم الذي يليق بها. كيف يكون لدينا ساحات كبرى في مصر، ولا نجد فيها تمثالًا يليق بكوكب الشرق؟ كيف يكون لدينا ميدان التحرير، ولا نرى فيه سوى ديكورات سطحية بدلًا من نصب تذكاري لأحد عمالقة الوطن؟

عبد الحليم حافظ، الذي تسببت وفاته في حالات انتحار من شدة حب الناس له، لم يُكرّم كما ينبغي، واكتُفي بتمثال صغير في دار الأوبرا، بينما يستحق أن يكون له ميدان يحمل اسمه في قلب القاهرة.

الفساد في الفنون والمسرح

ما يحدث في المشهد الثقافي والفني كارثي! نجد أشخاصًا يكتبون المسرح وكأنهم يكتبون "نشرة إعلانات"، ومع ذلك تُعرض أعمالهم على أكبر المسارح. نجد من يجهل أبسط قواعد الكتابة الإذاعية، ورغم ذلك، تُنتج أعماله بأعداد هائلة من الشخصيات التي لا تمتلك أي عمق درامي.

المفارقة أن حتى من لا علاقة لهم بالإبداع، مثل الموظفين الإداريين في المؤسسات الثقافية، أصبحوا يفرضون أنفسهم ككتّاب ومخرجين ومنتجين، فقط لأنهم يملكون السلطة، وليس لأنهم يملكون الموهبة.

التساهل في التعليم الفني والمسرحي

حتى في المؤسسات الأكاديمية، نجد العجائب**!** طالب في المعهد العالي للفنون المسرحية، في سنته الرابعة، كتب في إجابته عن "نظرية أرسطو" ما يلي:

"اشترِ الملوخية، اغسلها جيدًا، قطعها، ضعها في الشمس، ثم أضف فصين من الثوم."

هذا الطالب لم يُفصل، بل طُلب من الأساتذة "التغاضي" عن إجابته**!** بل وتكرر الأمر في دفعات أخرى، وأصبح النجاح سهلًا لمن لا يستحق، حتى لو كان يكتب عن طريقة طهي "البامية" بدلًا من تحليل المسرحيات**!**

الفساد في التعليم الثقافي والفني لا يقتصر على مصر

هذه الظاهرة ليست حكرًا على مصر، بل حتى في أماكن أخرى مثل الكويت، حيث تم كشف حالات تزوير وغش في معهد المسرح، مما أدى إلى فصل بعض المتورطين خلال 24 ساعة. لكن الفارق أن هناك من يتحرك سريعًا لوقف هذه المهزلة، بينما في أماكن أخرى، يتم التساهل مع الفساد حتى يصبح هو القاعدة، والإبداع هو الاستثناء.

ختامًا

إن ما يحدث في المشهد الثقافي والفني هو خيانة حقيقية للإبداع. خيانة للمسرح، للكتابة، وللفكر. إننا بحاجة إلى مراجعة أنفسنا،

وإلى محاربة الرداءة التي أصبحت تسيطر على الساحة. إذا لم نتدارك الأمر، فإن الأجيال القادمة لن تجد أمامها سوى نماذج سطحية تكرّس للفكر الاستهلاكي بدلًا من الإبداع الحقيقي.